

دكتور سيد محمود عمر يوسف

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

المواطنة من منظور إسلامي



دارالمعارف

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية

تصدر عن دار المعارف

[٧٢٩]

مدينه من مدينه ارف -
اداره النشر
من مخصص للبيع

رئيس التحرير

إسماعيل منتصر

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

يوسف. سيد محمود عمر.

المواطن من منظور إسلامي / سيد محمود عمر
يوسف. - القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٩.

١٥٦ ص. ١٧ سم.

تدمك ٩ ٧٢٨١ ٠٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - المواطن (شريعة إسلامية)

٢ - المواطنون.

١- العنوان

ديوى ٢١٢.٦

نائب رئيس التحرير

مفنى خشية

مدير التحرير

كريمة متولى

مدير فنى

شريفة أبو سيف

تصميم الغلاف

شريف رضا

تنفيذ المتن والغلاف

بقطاع النظم وتكنولوجيا المعلومات

دار المعارف

١ / ٢٠٠٨ / ٦٤

رقم الإيداع ٢٩٢٧ / ٢٠٠٩

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ - E-mail: maaref@idsc.net.eg

د. سید محمود عمر یوسف

المواطنة من منظور إسلامي



دار المعارف

اقرا

ان الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها،
لم يفكروا الا فى شىء واحد، هو نشر
الثقافة من حيث هى ثقافة، لا يريدون
الا ان يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا،
وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من
الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى
وأخصب من الحياة العقلية التى نعيشها.
طه حسين



أحلام شهرزاد - العدد الأول من سلسلة اقرا الشهرية صدر عام ١٩٤٣

الإهداء

إلى كل مخلص للدعوة الإسلامية
يسعى جهده إلى نشرها
لتكون كلمة الله هي العليا
وكلمة الذين تكفروا السفلى

المؤلف

المقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافى مزيده.
يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.
اللهم صل أفضل صلاة وسلم أفضل سلام على سيدنا محمد مسك الختام
وعلى آله وأصحابه والتابعين البررة الكرام.
فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه ملك الله الملك العلام.
وبعد فقد اجتذبنى موضوع (المواطنة من منظور إسلامى). ودفعنى إلى
دراسة وتلخيص ما وصل إلى قرابة الخمسين مرجعاً عادت على بأجل
الفوائد العلمية وبما لا يقدر بقيمة مهما بلغت.
وبعد فإن التسلسل المنطقى الذى يفرضه التفكير السليم الصادر عن
العقل الناضج والفكر المستنير - لا يمكن أن يتصور المواطنة وهى عنوان
الكتاب وأساس دراسته - من غير مواطن يمارسها، ولا يمكن توقع
مواطن بدون مواطن يقيم فيه، ولا يتواجد الوطن إلا كجزء من وطن
يحتويه. وهكذا تتكامل العناصر الأربعة بترتيب منطقى موطن ووطن
ومواطن ومواطنة. وقد تناول هذه العناصر فى فصول الكتاب بهذا
التتابع ثم عرض لأهم النتائج المستخلصة.
وفى النهاية فإن ابتغاء مثوبته وأجره خير وأعظم وأبقى.

د. سيد محمود عمر يوسف

الموطن

تمهيد:

كان موضوع المواطنة مهمًا وجذابًا ويشغل أذهان أفراد لنن المجتمع خاصة بمناسبة اقتراحات تعديل مواد الدستور. فهو موضوع له طابع الأهمية ويثير الاهتمام فى كل وطن وفى كل آن، والدخول إلى هذا الموضوع لا يتأتى إلا إذا مهدنا له بتسلسل منطقي يتقبله العقل ويساير الفكر السليم. وهذا التسلسل يتتابع ويتوالى منطقيًا وفكريًا كما يلي:

- لا مواطنة بغير مواطن يعتنقها ويمارسها وتشرع وتقنن لأجله.
 - لا مواطن دون موطن يقيم فيه سكنًا واستقرارًا.
 - لا موطن يتواجد إلا إذا كان جزءًا من وطن كبير أو صغير مناسب.
- إذن فدراسة المواطنة تستلزم بداية بحث الأساس، وهو الموطن الذى هو جزء من الوطن الذى ينتمى إليه المواطن الممارس للمواطنة. ولذلك نبدأ هذا الكتاب إن شاء الله بدراسة الموطن.

تعريف الموطن: فى اللغة له معنيان:

- (أ) المعنى الضيق: يقصد به المنزل الذى يسكن المواطن فيه، فمواطن البقر أو الغنم مرابطها وأماكنها التى تأوى إليها.

(ب) المعنى الأوسع : دائرة محل إقامة المواطن وعنوانه الذى يرتاده ويعيش فيه معظم أيامه وغالبية حياته. ويقال فلان أقام بأرض كذا وكذا أى اتخذها محلاً وسكناً يقيم فيه^(١).

□ تعريف الشيخ رفاعه الطهطاوى:

هو عش الإنسان الذى درج فيه ومنه خرج ومقطع سريته، وهو البلد الذى فيه نشأته وتربيته وغذاؤه وهوأوه^(٢).

التعريف القانونى:

(أ) الشخص الطبيعى: هو المقر القانونى للشخص فيما يتعلق بنشاطه القانونى وعلاقاته مع غيره من الأشخاص بحيث يعتبر موجوداً فيه على الدوام ولو تغيب عنه بصفة مؤقتة.

(ب) الشخص الاعتبارى: موطنه منفصل عن موطن الأعضاء الذين يتكون منهم أو موطن المديرين الذين يتولون إدارته وحدده القانون بأنه المكان الذى لا يوجد فيه مركز إدارته. وفى حالة وجود فرع يعتبر مركز إدارة الفرع موطناً له^(٣).

(١) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الجزء ١٣ صفحة ٤٥١ وما بعدها، بيروت - دار صادر سنة ١٩٦٨.

(٢) د. محمد عمارة الشيخ رفاعه الطهطاوى فى الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣ صفحة ١١ وما بعدها.

(٣) د. محمود سلام زنتى - مبادئ القانون أو المدخل لدراسة القانون صفحة ٣٧٦.

تعريف المواطن من منظور إسلامي:

موطن المواطن من البلاد الإسلامية هو المحل الذي ينوى الإقامة فيه ويتخذ فيه طريقة كسبه وعيشه ويجرى عليه عرقه وينفذ فيه حكمه فهو رعية الحاكم الذي يقيم تحت ولايته^(١).

ويتلاقى مضمون جميع التعاريف على محور واحد هو الإقامة للمواطن في الوطن والأصل أن تكون إقامته دائمة مستقرة فيها معاشه، وتآلفه مع أسرته وجيرانه ما لم يطرأ طارئ^٢ يبعده فترة قد تطول أو تقصر ثم يعود.

الموطن:

يمكن تقسيم الوطن إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: الوطن العام: قد عرفه القانون المدني المصري في المادة ٤٢ فقرة أولى: بأنه المكان الذي يقيم فيه الشخص عادة. وينبنى على ذلك أن المكان الذي يوجد فيه الشخص لا يعد موطناً إلا إذا كانت إقامته فيه مستقرة (فالاستقرار شرط جوهري لقيام الوطن)، ولكن استقرار الإقامة لا يعنى عدم انقطاعها فمن الممكن أن تتوفر في الإقامة صفة الاستقرار ولو تخللتها فترات غيبة متقاربة أو متباعدة. ويترتب على تحديد الوطن بالإقامة الفعلية المعتادة نتيجتان:

(١) د. محمد عمارة، المواطنة الإسلامية من مقال بجريدة الأخبار - العدد رقم ١٦٨٠٦ سنة ٥٤، الجمعة ٢٠٠٦/٣/٣.

الأولى : إمكان عدم وجود موطن للشخص إذا لم يعتد الإقامة في مكان معين ويستقر فيه كما هو الحال في حالة البدو الرحل ، وفي هذه الحالة لا مفر من الاعتداد بمكان التواجد.

الثانية : إمكان وجود أكثر من موطن للشخص الواحد ، كما إذا أقام الشخص في إحدى القرى وإحدى المدن في وقت واحد.

القسم الثاني : الموطن الخاص : هو المقر الذي يجعل منه القانون أو الاتفاق موطناً للشخص لبعض الأعمال التي ينطوي عليها نشاطه ويتنوع كما يأتي :
١ - موطن الأعمال : هو المكان الذي يباشر فيه الشخص عملاً قد يقضى القانون بأن يكون موطناً بالنسبة لإدارة الأعمال المتعلقة به كمكتب المحامي موطناً له.

٢ - الموطن القاصر : (المأذون له الذي بلغ الثامنة عشرة والمحجور عليه لسفه أو غفلة) موطنه هو موطن وليه أو وصيه أو القيم عليه.

٣ - الموطن الإلزامي : (موطن القاصر والمحجور عليه والمفقود والغائب) هو موطن من ينوب عن هؤلاء قانوناً لأنه يباشر عنهم النشاط القانوني الخاص بهم.

٤ - المحل المختار : يقصد به أحد الأمور التالية :

(أ) إما أن يكون لتنفيذ عمل قانوني معين.

(ب) أو يقصد به تثبيت الموطن طوال مدة يستغرقها عمل محدد.

(ج) وإما يقصد به تجنب الدائن مشاق اتخاذ إجراءات التنفيذ في

مواجهة مدين يقيم في مدينة أو قرية بعيدة.

(د) وإما يقصد به تركيز إجراءات في يد وكيل معين كمحام مثلاً.

صور الوطن:

من واقع الطبيعة تتفرع صور الوطن على النحو الآتى:

المسكن: (البيت أو المنزل): تبدأ أول صورة الوطن بالسكن الذى يقيم فيه المواطن فهو ارتباط له بالوطن وبالتالي الوطن ويجمع المسكن المواطن وأسرته، وفيه نشأ وفيه يحيا وفيه تنقضى حياته يكفل له الأمن والاستقرار بماله من حرمة تتكفل الدولة بحمايتها والمحافظة عليها. فحرمة السكن ترقى حمايتها إلى مستوى الدساتير، وتواجد هذا المسكن فى موقع مكابى معين يحدد الصور التى يتوالى اتساعها، وتختلف بيئاتها وأقاليمها على النحو الآتى:

١ - القرية والقرى: هي تجمعات سكانية صغيرة الحجم نسبياً، وهى فى الغالب تعبير عن مقر وموطن المجتمعات الريفية، ومنها ما هو صغير ومنها ما هو كبير ومنها ما هو ظاهر أو منتظم ومنها ما هو فى طريق موعرة ويغلب على نشاطها الزراعة.

٢ - البلد والبلدة والبلاد: هي بقعة جغرافية أو مكان ما، منها ما هو ميت ومنها ما هو طيب ومنها ما هو خبيث ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَأْذِنُ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا فَكْهًا﴾^(١). وقد تضم البلد عدداً من القرى.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

٣ - المدينة والمدائن: هي تجمعات أكثر كثافة وأسبق تحضرًا وتروج فيها أسواق التجارة وتنتشر فيها أنشطة الصناعة كما تكثر فيها العمارة والتurf.

٤ - الحى: هو جزء من المدينة وقسم من أقسامها تنقسم إليها ليسهل إدارتها ونظامها ويضم الحى جماعة من المواطنين المتجاورين فى منطقة جغرافية ذات حدود إدارية معترف بها.

٥ - المصر: يعنى الوطن عندما يعبر به عن رقعة معينة تنشأ فيها تجمعات من القرى أو البلدان أو المدن المتجاورة لتمثل جزءًا من الوطن ولكن قد يعبر بها عن الدولة فيخرج بها التعبير وقتئذ عن دائرة الوطن إلى دائرة الوطن. وعلى ذلك فهى مزدوجة المعنى.

٦ - موطن البدو: هو سكان الصحراء (البيداء) التى تجاور القرى أو البلدان أو المدن ويتحدد الوطن بالنسبة لهم بمدى القرب من القرية أو البلد أو المدينة لتصبح موطنًا للبدو الذين استقروا غالبية حياتهم مجاورين لأقرب منها. أما إذا تشتت البدو فى الصحراء فيتعذر تحديد موطنهم لأنهم لا يستقرون فى مكان واحد، بل يتوالى ترحالهم من موقع إلى موقع^(١).

حب الوطن:

لابد للمواطن أن يتعلق بموطنه الذى نشأ وترعرع فيه فذلك أمر طبيعى وقطرى أن تؤثر بيئة الإنسان فى لبه وفكره وقلبه، وأن يحن إلى

(١) د. صلاح مصطفى الفوال «التصوير القرآنى للمجتمع» المجلد الثانى صفحة ١٥٨ وما بعدها دار الفكر العربى.

هذا الموطن فى أى موقع ينتقل إليه حنيئاً عاطفياً وجدانياً لا إرادياً، وقد ضرب النبى ﷺ لنا المثل فى ذلك عندما وقف عند خروجه مهاجراً بالحرورة فى سوق مكة وقال ﷺ : (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت) (١).
وقد تغنى الشاعر (٢) الحديث بحب موطنه مردداً:

وطنى وصباى وأحلامى وطنى وهواى وأيامى
ورضا أمى وحنان أبى وخطا ولدى عند اللعب
يخطو برجاء بسام وطنى وصباى وأحلامى
فإنه وإن كان قد استعمل لفظ وطنى فإنما يقصد بها موطنى حفاظاً على وزن الشعر، ويؤكد ذلك ما جاء بعد ذلك من حديثه عن صباه وأحلامه وعن أمه وأبيه وولده مكونات أسرته الذين يقيمون معه فى موطنه محل إقامته.
الموطن والهجرة:

تعرض الهجرة حالة الاستقرار التى هى جوهر وأساس الوطن. فهى الانتقال من بقعة جغرافية إلى بقعة أخرى بقصد الإقامة مؤقتاً أو دائماً. وهكذا فهى تقضى على حالة الاستقرار فى الوطن الحالى لاستبداله بآخر، وتتمثل الهجرة فى واقعة الانتقال من مكان إلى مكان، وذلك فى السفر والارتحال والسياحة والاعتراب والاستيطان.

(١) رواه الترمذى فى كتاب المناقب، باب فضل مكة ٧٢٢/٥.

(٢) الشاعر أحمد محمد مخيمر من محافظة الشرقية.

الهجرة والانتقال: كل منهما انتقال، ولكن الانتقال يطلق على الحركة المحدودة كأن تكون من مسكن إلى مسكن في نفس الحي. أما الهجرة فهي انتقال في الغالب من وطن إلى وطن أو من موطن إلى موطن والعكس مما يتم بالبعد.

الهجرة والارتحال: الارتحال يطلق على تحرك البدو في الصحراء، بينما الهجرة انتقال من وطن إلى وطن أو موطن والعكس.

الهجرة والسفر: السفر انتقال من بلد إلى بلد أو مكان إلى مكان في داخل الوطن بينما الهجرة انتقال إلى وطن آخر بقصد الاستقرار. أما السفر فيكون لهدف تعليمي أو لغرض ترفيهي أو صحي.

الهجرة والسياحة: كل منهما انتقال، والسياحة انتقال بقصد العلاج أو زيارة الآثار أو الترويج، والهجرة بقصد نقل النشاط الاجتماعي أو الاقتصادي.

الهجرة والتغريب: كلاهما انتقال، ولكن الهجرة تتم برغبة المهاجر ورضا منه خوفاً من فتنة ووقاية من الضرر. وقد أوضح ذلك الشاعر^(١) في قوله:

ثلاث يعز الصبر عند حلولها ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها وفرقة إخوان وفقد حبيب
فقد أوضح الشاعر أنه ضمن الثلاثة التي يعز الصبر عندما تأتي الخروج باضطرار من البلاد المحبوبة مع مفارقة الإخوان وفقد الحبيب.

(١) الشاعر زهير بن أبي سلمى، من العصر الجاهلي.

الهجرة والاستيطان: كلاهما انتقال، ولكن الاستيطان تسبقه الهجرة، ويعنى الاستقرار بعدهما باتخاذ المكان المهاجر إليه موطنًا.

الموطن من منظور إسلامي:

إن محل إقامة المواطن إسلاميًا لا يختلف عما سبق دراسته والقرآن الكريم قد تعرض في كثير من آياته للموطن في صور متعددة منه، فذكر التجاور في الحي في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾^(١).

وأورد القرية في آيات منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾^(٢).

وذكر المدينة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٩٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٢٣.

وذكر البلدة في قوله تعالى:

﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾^(١).

وذكر البدو وترحالهم في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾^(٢).

وأورد ذكر مصر فقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ﴾^(٣).

واعترف القرآن الكريم بهذه المحليات كما ظهر من الأمثلة السابقة وغيرها كثير يؤكد مدى الاهتمام بالموطن كمحل لإقامة المواطن، وكذلك اهتم القرآن الكريم بالهجرة حيث وردت فيه آيات عنها:

منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾^(٥).

(١) سورة النمل، الآية ٩١.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

(٣) سورة يوسف، الآية ٩٩.

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٠.

(٥) سورة النساء، الآية ٩٧.

الوطن

تمهيد:

من الموطن كجزء إلى الوطن ككل يحتوى أجزاء المَواطن التي يقيم ننتقل فيها المواطنون الذين يمارسون المواطنة. وبذلك تتسع دائرة انتماء المواطن من الموطن الجزء إلى الانتساب إلى الوطن الأم جنسية وانتماء وولاء.

تعريف الوطن:

فى اللغة : أوطن الأرض واستوطنها اتخذها وطناً^(١).
ويعلق أحد أساتذة القانون^(٢) على هذا التعريف قائلاً: ما أبعد المعانى التي يعنيها الوطن عند ابن منظور، حيث يتضمن الانتماء إلى الرقعة الجغرافية (وتساوى القرب الوطنى) والروابط اللغوية والعرفية والثقافية ويكون العدو واحداً يتهدد الجميع بغض النظر عن الفروق التي تقوم بينهم.

(١) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب الجزء ١٣، صفحة ٤٥١ بيروت، دار معاذ ١٩٦٨.

(٢) د. يحيى الجمل فى مقال له بجريدة المصرى اليوم فى العدد رقم ٦٩٤ السنة الثانية - الاثنين ٢٠٠٦/٥/٨.

تعريف رفاعة رافع الطهطاوى^(١) للوطن:

عرفه بأنه المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية. وهذا التعريف يصطبغ بالصبغة السياسية. وهو ما سيسير عليه مختلف المفكرين العرب بعد أن تبناه وقام بنشره وإذاعته الشيخ محمد عبده^(٢).

وهناك مفاهيم ثلاثة للوطن تظهر مع أنماط ثلاثة من الوعي هي:

— الوعي الوطنى. — الوعي القومى. — الوعي السلفى.

ولم يكن فى استطاعة الفكر العربى فى القرن الماضى أن يعرفها وكان عذره فى ذلك أن الشروط الضرورية والكافية لظهورها وتبلورها لم تولد إلا فى المراحل اللاحقة، ولأن هذه الأنماط الثلاثة توجه بصفة عامة الأشكال المختلفة لاستعمال كل من مفهومى الأمة والوطن وتكسيبها دلالاتها المتنوعة^(٣).

أهمية الوطن:

لا غناء للإنسان المواطن عن الوطن فإن فيه حياته وفيه أرضه ومثواه ومماقه، من استقلاله يستمد حرية ومن عزته يتمتع بكرامته،

(١) الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى، الأعمال الكاملة دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، صفحة ١ أو ما بعدها بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣.

(٢) أديب إسحق، الكتابات السياسية والاجتماعية، تقديم: ناجى علوش، ص ٦٦ وما بعدها بيروت، دار الطليعة.

(٣) مقدمة لدراسة الفكر السياسى العربى فى مائة عام فى الجامعة الأمريكية، دراسة فى الهوية والوعي صفحة ١٤٥.

فيه أهله، نسل من أجداده الذين استوطنوه وسيتركه لأحفاده الذين سيرثونه إن لحقه شر ضره، وإن أصابه خير سره.

تعريف الوطن من منظور إسلامي:

هو ذلك البلد الذي نعيش فيه، هو واحة من الأمن والأمان، وهو الصدر الحنون الذي يكتنف الجميع بكل فئاتهم وعقائدهم وثقافتهم منذ الميلاد وحتى الممات وهو الملجأ والملاذ يعيش الناس على أرضه يرزقون وتحت سمائه يحتمون^(١).

ومع تنوع أقاليم وأقطار وقوميات الجامعة الإسلامية يكون جوامع القرآن من العقيدة والشريعة هي قبلة الجميع، فدار الإسلام دول متصلة الأراضي متحدة العقيدة ويجمعهم القرآن واتفاقهم من أصول دينهم^(٢). والوطن في الإسلام دار (دار الإسلام) تحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة من الله. ولم يعترف الإسلام بالحدود الجغرافية ولا الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر سكان الوطن أمة واحدة والوطن الإسلامي وطن واحد مهما تباعدت أقطاره وتناهت حدوده^(٣).

(١) محمد زكي عويس، المتأوطنون، مقال بجريدة الأخبار صفحة ٢٠ العدد ١٦٨٩٨ س ٥٥ ٢٠٠٦/٦/١٩.

(٢) د. محمد عمارة، المواطنة الإسلامية مقال بجريدة الأخبار، العدد ١٦٨٠٦ س ٥٤ في ٢٠٠٦/٣/٣.

(٣) سيد قطب، معالم في الطريق، صفحة ١٥٨ و صفحة ١٧٦ بيروت دار الشروق.

حب الوطن:

إن محبة الأوطان ليست مما تميل إليه النفس ساعة ثم تنفر منه. إنما الوطنية كمظهر لحب الوطن شعور ينمو في النفس، ويزداد الهيبة في القلب ويرسخ في الفؤاد كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه واشتدَّت^(١). وإن الوطنية لهي أشرف الروابط للأفراد والأساس المتين الذي تبني عليه الدول القوية وكل ما يرى من آثار العمران والمدنية ما هو إلا ثمار الوطنية^(٢). وإن حب الوطن والانتماء الحق إليه يدعوان كل مؤمن أن يكون وفيًا لقراب الوطن الذي نشأ عليه، وأن يصونه من كل غائلة ومن كل ترويع واضطراب^(٣).

حب الوطن في الإسلام:

كل مسلم مفروض عليه أن يكمل وطنيته وأن يخدم الوطن الذي نشأ فيه. ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعًا لمواطنيه لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين^(٤).

(١) أديب تصور مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام، صفحة ٩٥.

(٢) محمد أحمد خلف الله وآخرون، القومية العربية والإسلام، طبعة ثانية، صفحة

٨٧، بيروت.

(٣) د. أحمد عمر هاشم، الانتماء والمواطنة، مقال في يوميات الأخبار - العدد ١٧١٠٦

س ٥٥، ١٦/٢/٢٠٠٧.

(٤) مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، صفحة ١٧٥، بيروت، المؤسسة الإسلامية

للطباعة والنشر.

وقد عبر الشعراء بوجدانهم عن مدى حبهم لأوطانهم فقال الشاعر:
بلادى وإن جارت على عزيزة وأهلى وإن ضنوا على كرام
فمهما حدث له من وطنه فلا يمكن أن يؤثر فى حبه له وكذلك أهله
الذين يعيشون معه.

أما الشاعر الحديث^(١) فقد كان فى مهجره بعيداً عن وطنه ولما حن
إليه قارن بينه وبين جنة الخلد مفضلاً لوطنه على هذه الجنة فقال:
وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
شهد الله لم يغب عن جفونى شخصه ساعة ولم يخل أمسى
وإثر عودته إلى وطنه عبر عن مدى فرحته بلقائه بقوله:
ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيت بك الشبابا
فمثل عودته إلى وطنه وعودة وطنه إليه بعودة الشباب، وهو أجمل
مراحل العمر.

ويروى عن أشهر حكماء العرب^(٢) حكمة بالغة فى حب الوطن إذ يقول:
(إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحنانه إلى أوطانه)
فكأن علامة الرجولة لا تتبين فى الرجل إلا إذا كان يحن إلى وطنه
ويشتاق إليه ويضرب ذلك الحكيم المثل بثلاث من مخلوقات الله المختلفة
حيث يقول:

(١) أمير الشعراء فى العصر الحديث أحمد شوقى فى الشوقيات.

(٢) ما يرويه الدنيورى عن حكيم العرب الأصمعى.

(ثلاث خصال فى ثلاثة أصناف: الإبل تحسن إلى أوطانها وإن كان
عهدها بعيداً، والطير إلى وكرة وإن كان موضعه مجدياً، والإنسان إلى
وطنه وإن كان غير أكثر نفعاً له).
ومن الممكن أن نجل أسباب حب الوطن فى ثلاثة عناصر تشبه أن
تكون حدوداً هى:

العنصر الأول: السكن الذى فيه الغذاء والوفاء والأهل والولد.
العنصر الثانى: مكان اكتساب الحقوق وحمايتها وأداء الواجبات
والالتزام بها والحقوق والواجبات مدار الحياة السياسية.
والعنصران السابقان حسيان ظاهران يدركان بحواس المواطن.
العنصر الثالث: موضع النسبة التى يعلو بها الإنسان، ويعتز أو
يسفل أو يذل وهو ما يسمى بالانتساب أو الانتماء وهو سبب معنوى
محض^(١).

(١) محمد أحمد خلف وآخرون، القومية العربية والإسلام، طبعة ثانية، صفحة ٩٨،

٩٩ بيروت.

الوطن والدولة الحديثة

لما كان التعريف الحديث للوطن، أنه المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية ولما كانت الدولة فى مفهومها القانونى هى مجموعة من الناس تقطن بصفة دائمة إقليمًا معينًا وتخضع لسلطة معينة^(١).

فإن الدول تتطابق فى مفهومها مع مفهوم الوطن بالنظر إلى أنها تحوى مجموعة الأفراد الذين لهم حقوق وواجبات سياسية وترعاها سلطة يخضعون لها فى ظل الدستور والقانون.

عناصر الدولة: (باعتبارها وطنًا) ثلاثة عناصر:

□ **العنصر الأول:** المجتمع الإنسانى ويشمل عددًا كبيرًا من الأفراد (المواطنين) وعائلاتهم وما يكونونه من أشخاص اعتبارية (جمعيات - شركات - هيئات) تظلمهم المواطنة.

□ **العنصر الثانى:** الإقليم الذى يقطنه رعايا الدولة ويتحدد عادة برقعة من الأرض بما تطل عليه من مساحة مائية، وبما يظلمها من فضاء جوى يعلو الأرض والماء.

(١) د. محمد حافظ غانم، الأصول الجديدة للقانون الدولى العام، طبعة ثانية ١٩٥٤، ص ١٢٨، ١٧٨، ٢١٢ (بتصرف واختصار شديد).

□ العنصر الثالث: النظام السياسى ويتمثل فى الهيئة الحاكمة المنظمة التى تتميز بها الدولة وتتولى الإشراف على الإقليم وما فيه من رعايا وفق الدستور والقانون الذى ينظم الحقوق ويحميها ويحدد الواجبات ويرعى الالتزام بها.

تقسيمات الوطن:

نعرض هذه التقسيمات عرضاً موجزاً مركزاً حيث تنقسم الدول الأوطان إلى ما يأتى: .

أولاً: (أ) دولة بسيطة: تنفرد سلطة واحدة بإدارة شئونها الداخلية والخارجية.

(ب) دول مركبة: تتكون من اتحاد يضم أكثر من دولة وارتباطها معاً برابطة الخضوع لسلطة مشتركة تمثل فيها دول الاتحاد.

ثانياً: (أ) دول تامة الأهلية: تملك مباشرة سائر الاختصاصات على إقليمها (مستقلة).

(ب) دول ناقصة الأهلية: لا تتمتع بسائر اختصاصاتها على إقليمها نتيجة تدخل دولة أخرى أجنبية أو هيئة دولية تباشر تلك الاختصاصات مثل الدولة المحمية والدول التى تحت الوصاية والدول الموضوعة فى حالة حياد دائم (سويسرا) والدول المرتبطة بمعاهدات غير متكافئة تنقص من سيادتها الكاملة.

حياة الدولة (الوطن):

- (أ) نشأتها : تنشأ الدولة (الوطن) بأحد أسلوبين :
- الأسلوب الأول : نشوء جديد من عناصر جديدة وذلك باستقرار مجموعة من الناس على إقليم غير مسكون أو مسكون بقبائل همجية أو بشعب ضعيف وتوفر الرغبة لديهم في تكوين تنظيم سياسى مستقل.
- (ب) وإما من عناصر قديمة بأسلوبين :
- الأول : انفصال ولاية أو مستعمرة عن دولة الأصل.
- الثانى : الاندماج كما لو اتحدت دولتان أو أكثر لتتكون دولة واحدة جديدة ويجب أن يصاحب نشوء الدولة بأى طريق من الطرق اعتراف من الدول الأخرى.

التغييرات التى تطرأ على الدول:

- (أ) تغيير نظام الحكم بالانقلاب أو الثورات التى تغير نظام الحكم الداخلى أو التكوين الدستورى للدولة.
- (ب) التغييرات التى تطرأ على التكوين الإقليمى للدولة فتؤدى إلى اتساعه أو نقصه.
- اختصاص الدولة : الدولة لها كامل الحرية بمقتضى السيادة فى تحديد اختصاصاتها.
- الدفاع : من أوليات الاختصاصات حق الدولة فى الدفاع عن كامل إقليمها برًا وبحرًا وجوًا.

تكوين الدولة على أساس إقليمي:

تملك الدولة على إقليمها اختصاصًا عامًا. ففي حدود إقليمها تملك التدخل في سائر مظاهر الحياة البشرية لتنظيمها وإقرار ما تراه أمنًا وعدالة. ولهذا الاختصاص مظهران:

(أ) مظهر إيجابي: بمقتضاه تباشر الدولة سلطاتها في مواجهة جميع الأشخاص الموجودين على إقليمها، وكذلك جميع الأشياء الكائنة فيه وجميع الأعمال التي تتم عليه وخاصة في مجالات نظام الحكم وتنظيم الإدارة العامة والتشريع والقضاء.

(ب) مظهر سلبي: حق الدولة في الانفراد بمباشرة سائر الاختصاصات في إقليمها بحيث يمتنع على الدول الأخرى أن تباشر اختصاصًا من هذا النوع في إقليم ليس تابعًا لها.

الدولة الحديثة من منظور إسلامي:

يتميز الإسلام بالشمول الذي يحوى ما يلى:

١ - الامتداد الزمانى فى الفكر الدينى مستعرضاً قضية البشرية منذ نشأتها.

٢ - الشمول الموضوعى الذى يغطى مجالات الحياة جميعها (سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية وعقائدية وأحداث تاريخية).

٣ - شمول يضم الأديان كلها ويحتويها فى مضامينها مصححاً لكل أخطائها وزيفها.

٤ - شمول الدعوة الإسلامية فلا تقتصر على جنس دون جنس، ولا قوم دون قوم، وإنما تنظر إلى الإنسان في جوهره الواحد وترد التفاضل إلى التقوى. ومن كل ما سبق يستحيل على أية دولة حديثة مهما كان تكوينها ومهما بلغت حدودها أن تستوعب جميع أنواع هذا الشمول لتتكون منه دولة إسلامية موحدة. وإن المتأمل لجماعات المسلمين ليجدهم يمثلون نسبةً تتصاعد من ٩٪ إلى ١٠٪ تقل أو تزيد في جميع دول العالم الحديث. وقليل منهم في حكم الندرة ما تطبق دولته الشريعة الإسلامية عدد لا يسكاد يعد على أصابع اليد. كل ذلك يجعل الأمر بعيداً عن تحقيق ما عرف في الشريعة الإسلامية بدار الإسلام الواحدة والأمة الإسلامية الموحدة التي تسكنها وإنما هي دور للإسلام متعددة وأمة إسلامية ممزقة إلى أشلاء داخل هذه الدور بنسب متفاوتة، وذلك هو الواقع المرير^(١).

دار الإسلام:

هي الأرض التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي وتهيمن عليها شريعة الإسلام وتكون كلمة الله فيها هي العليا حيث تقام فيها حدود الله ويتولى المسلمون بعضهم بعضاً في تلك الدار. وتمتد هذه الدار بامتداد الأرض التي يسيطر عليها المسلمون وتحكمها الشريعة الإسلامية سواء كان سكان هذه الأرض جميعاً من المسلمين أم توجد إلى جوارهم أقلية

(١) كامل همام، الإيمان وأثره في بناء المجتمع، كتب إسلامية، العدد ١٢٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

غير مسلمة. وفي المقابل فإن هناك مجتمعات أخرى لا يسيطر عليها المسلمون، وقد توجد بها أقلية مسلمة، وقد لا توجد وليس هذه المجتمعات بطبيعة الحال مجتمعات مسلمة وتسيرها نظمها وقوانينها الخاصة بها وقد تربطاً بدار الإسلام علاقات سلام وأمان وقد تكون بينهما الحرب:

١- فإن كانت على عهد وميثاق مع دار الإسلام يكن هذا العهد والميثاق هو المرعى فلا غدر ولا خيانة ولا مباغته حتى ينقضى أجل ذلك الميثاق أو ينقضه الآخرون.

٢- وإما أن يكون هناك اتفاق غير مكتوب على الأمان وعدم العدوان بغير معاهدة أو ميثاق، فالإتفاقية قائمة حتى ينبذها الآخرون أو تبدو منهم قدر غدر أو خيانة.

٣- وإما أن تكون هي الحرب التي لها أهداف وقيود وقواعد وضمانات.

ولأن البشر في عرف الإسلام أمة واحدة كلهم لآدم وآدم من تراب، لذلك أزال الإسلام كل الحواجز والسدود التي تفرق بين الناس وتضعهم في قوالب قومية أو عنصرية أو إقليمية ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (١).

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

وليس معنى هذا أن الإسلام ضد فكرة الوطن، وإنما هو ضد فكرة أن يقوم ذلك الوطن على الأسس المفرقة للناس كالجنس والعنصرية أو أى عرض من أعراض الدنيا. ويقدم الإسلام بديلاً لفكرة الوطن تنهض على أساس التآخي والتعاون والمحبة وطاعة الله. ومن هنا صار الوطن فى مفهوم الإسلام فكرة فى الشعور بدلاً من أن يكون رقعة من الأرض. ومن هنا كانت قناعة المنتمين للمجتمع الإسلامى بأنهم على الرغم من تباعدهم المكانى فهم أبناء وطن واحد وهم إخوة فى الله متعاونون على البر والتقوى. وهكذا حلت فكرة الإسلام وعقيدته محل فكرة الوطن لأن الأرض أرض الله والمسلمون مستخلفون فيها وكل أرض يظللها الإسلام هى لكل المسلمين وطن وسكن بغير استغلال طائفى أو عنصرى، فالجميع فوق أرض الله ووفقاً لشريعته سواسية لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض أو أحمر على أسود إلا بالتقوى^(١).

(١) د. عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن فى تربية المجتمع، الخانجى مصر، صفحة ١٠٣ وما بعدها.

المواطن

تمهيد:

إلى المواطن محور الموضوع وقطب البحث الذى يقيم فى الوطن ناتى سكوناً والذى ينتمى إلى الوطن جنسية ووطنية والذى يتفاعل بالمواطنة وينشط متمتعاً بحقوقها موفياً بالتزاماتها.

التعريف بالمواطن:

المواطن يأخذ جذوره من الوطن ليس أرضاً ولا ماء ولا شجراً ولا رملاً ولا حجراً، ولكن الوطن فى أوسع معانيه الذى يمنح المنتمى إليه الإقامة والحماية والانتماء والعمل والكسب والاستقرار والتنقل والتعليم والاستشفاء والحرية وحق المشاركة فى الحكم والتوجيه واستعمال الفكر واليد واللسان وهى جميعها متاحة من مدلولات الكلمة. والمواطن يوطن الوطن ليكون معه كلما كان معه.

ويلتقى المفهوم الأسمى للوطن مع المفهوم الأسمى للإنسان فى أنه ليس تجريدياً، ولكنه يأخذ من كل مضامين الوطن ليمنحه كل مضامين المواطن لينتقل مفهوم المواطن إلى مفهوم أشمل وهو المواطنة. وبذلك يزيد المواطن اقتراباً من أسمى مفهوم الإنسانية فتصبح المواطنة إنسانية مضافاً

إليها التعلق بشخص آخر يشاركه في الوطن، ويقتسم معه كل مضامين الوطن والمواطن^(١).

المفهوم السياسي للمواطن:

هو ذلك الفرد الذى يعيش فى الوطن له من الحقوق وعليه من الواجبات. والمواطن الصالح الذى يلبي نداء الوطن ويدافع عنه بروحه وماله وبكل ما يملك من فكر وثقافة وخبرات فى شتى الميادين هو ذلك العامل والفلاح والمعلم والطبيب والعالم الذى يشارك بفاعلية فى جميع الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية^(٢).

مفهوم الإنسان المواطن فى الفكر المعاصر:

هو الكائن الذى يجب أن تتجه جميع أنواع نشاطه إلى تنمية جسمه وروحه وحريته وكرامته. وفى كلمة واحدة إنسانيته. فهو المواطن الإنسان. وفى المرجعية الأوربية الحديثة المعاصرة يقدم لنا نموذجاً للكمال الإنسانى فكرياً وأخلاقياً وجمالياً^(٣).

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى من كتابه «فيض الرحمن فى تربية الإنسان» طبعة ٣، الجزء الأول، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) د. محمد زكى عويس من مقال المتأطنون له فى جريدة الأخبار عدد ١٦٨٢٨ سنة ٢٠٠٦/٧/١٩، ص ٥٥.

(٣) د. محمد عابد الجابرى مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القديمة (٢٦) قضايا الفكر العربى.

المواطن من وجهة نظر القانون:

هو صاحب الحق الذى يستأثر به دون غيره فيتمتع بما يخوله من سلطات، وهو قسمان:

(أ) الشخص الطبيعي : الإنسان بما له من أهلية وجوب أى صلاحية لاكتساب الحقوق والتحمل بالالتزامات وهى عند البعض أهلية كاملة واستثناء توجد ناقصة ليعتبر صاحبها قاصرًا كالصغير المميز والسفيه أو تكون معدومة كالمجنون والصبي غير المميز.

وتبدأ شخصية الإنسان بتمام ولادته حيًا وتنتهى بوفاة طبيعية، واستثناء إذا كان مفقودًا يحكم القاضى بموته بمضى أربع سنوات على فقدته إن كان يغلب على غيابه الهلاك بحرب أو فيضان أو زلزال.

وللشخص المواطن حالة تنطوى على الجنسية التى تعنى انتسابه للدولة والوطن وقد تكون أصلية وقد تكون مكتسبة بشروط يحددها القانون. وهناك قرابة النسب وقربة المصاهرة. والحالة الدينية التى توضح الدين وله اسم يطلق عليه. وقد يكون له لقب يضاف لاسمه.

(ب) الشخص الاعتبارى أو المعنوى : هى شخصية افتراضية مجازية أثبتتها القانون لجماعات من البشر أو لمجموعات من الأموال لغرض اقتصادى أو اجتماعى أو لهدف سياسى. وله بداية ونهاية تتحددان فى قرار القانون بالإنشاء أو الإلغاء وله اسم يختلف عن أسماء مكونه

وموطن وجنسية وذمة مالية^(١) والأمثلة عليه: الشركات - الجمعيات -
المؤسسات - الهيئات - النقابات.

المواطن من منظور إسلامي:

هو الإنسان المخلوق من صانع الوجود وهو - كما أراده الله - سيد على
جميع أجناس الكون. والمواطن كلمة تعنى التعامل في تجاوب مع الوطن
وليس مجرد الحياة في رحابه، ولكن في تجاوب مع مراحل حياته.
فالوطن يسعد ويشقى ويسمو علمياً وحضارياً وسياسياً بمواطنيه^(٢). وقد
عبر الشاعر^(٣) عن هذا المعنى السامي بقوله:

فلا هطلت على ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلاد

المواطن في الدولة الإسلامية:

باعتباره إنساناً: طبيعته - شخصيته - مكانته.
أولاً: طبيعته: مزيج من المادية والروحانية وكان جديراً بحمل أمانة
التكليف وعمارة الكون بأصل خلخته التي أرادها الخالق المبدع الذي
أحسن كل شيء خلقه^(٤).

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى، من فيض الرحمن في تربية الإنسان، طبعة الثالثة، جزء
أول، الكتاب الذهبى روزاليوسف.

(٢) د. محمود سلام زنتى، مبادئ القانون أو المدخل إلى دراسة القانون سنة ١٩٧٧،
صفحة ٣٣٢-٣٧١.

(٣) الشاعر هو أبو العلاء المعرى، شاعر عربى كان كفيف البصر.

(٤) د. محمد أنيس عبادة سلسلة دراسات فى الإسلام عدد ١٥٨، المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية.

ثانيًا: شخصيته: شخصية بارزة لا تقنى فى مجتمع الدولة وإنما تقوم بإعانة الوطن وتعمل على بقاءه وصلاحه كما تعمل الدولة على بقاء هذه الشخصية.

وصلاح كل منهما ضرورى للآخر فلا تنافر بين الاثنين ولا تعارض^(١).

ثالثًا: مكانته: للمواطن مكانة كبرى بينها الإسلام من ثلاث نواح:

(أ) أكرمه الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^(٢).

(ب) استخلفه فى الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

(ج) حمّله الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٤).

والإسلام رفع شأن الإنسان المواطن لذاته لا لاعتقاده وعقيدته. فالآيات القرآنية السابقة تتحدث عن الإنسان تارة وعن بنى آدم تارة

(١) الفرد والدولة فى الشريعة الإسلامية، سلسلة صوت الحق، توزيع دار الجهاد، دار الاعتصام.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

أخرى. ومعنى هذا أن كل إنسان له فى الإسلام قدسية الإنسان إنه فى حمى محمى وحرم محرم ما لم يهتك هو حرمة نفسه وينزع بيده السر المضر وب عليه بارتكاب جريمة ترفع عنه تلك الحصانة^(١).

ويتميز المواطن الإنسان المسلم بأنه يستمد قيمه وسلوكه من السماء لا من الأرض ويستمد شرعيته التى تنظم سلوكه من الوحي لا من الهوى.

وأما بالنسبة للمرأة فهى جهاز روحى عجيب يلقى فى قلب الرجل أسرار القوة ومعانى الثقة بالنفس، وهى إنسان كريم وأسمى ما فيها إنسانيتها الرفيعة، وقد قضت سنة الله أن تجعل كرامتها منوطة برعاية أمانتها الخاصة، وأن تجعل سعادتها منوطة بأداء وظيفتها مشاركة فى تكوين الأسرة جنباً إلى جنب مع الرجل بصلة المودة والرحمة^(٢).

المواطن الإسلامى تكوين محمى:

لن يبلغ المواطن المؤمن هذا التكوين إلا إذا ارتبط بشخص سيد المرسلين ﷺ برباطين متلازمين.

الأول: رباط الإيمان بذاته النبوية: آية هذا الإيمان أن يمارس المواطن المسلم بمكوناته الإنسانية تلك الفاعليات الشامخات التى أرسى ركائزها سيد الموحدين عليه صلوات الله، وهذه الفاعليات كما يأتى:

— الفاعلية الأولى: حفظ الأبدان بطهارة الإسلام ونظافة الإيمان.

(١) فهمى هويدى «مواطنون لا نميون» أولى سنة ١٩٨٥، صفحة ٨١ دار الشروق.

(٢) د. عبد الرحمن غميرة، رجال ونساء أنزل فيهم قرآن، مجلد ثانى صفحة ٣٧.

– الفاعلية الثانية: تنقية الأرواح بكثير الأذكار وبعديد الصلوات.

– الفاعلية الثالثة: تهذيب الأنفس بجمال الأخلاق وتجميل

الخصال.

– الفاعلية الرابعة: تعليم العقول بعلم القرآن وبتعاليم أقوال

الرسول ﷺ. وبممارسة المؤمن المواطن لهذه الفاعليات الشامخة تنطبع

مكوناته الذاتية بالكينونة البشرية للرسول المصطفى ﷺ فيسمو إلى

علياء الإسلام.

الثاني: رباط الانتماء لذاته النبوية: وآية هذا الانتماء أن يحقق كل

مواطن مسلم بمرثياته الانفرادية تلكم التفاعلات الراسخات التي جمع

على محورها إمام المرسلين ﷺ عامة أهل الإسلام وهذه التفاعلات

كما يلي:

التفاعل الأول: أن يتبين بعقله فوائد تباين الطائفيات ليكون الواحد

في تجمعاتها.

التفاعل الثاني: أن يلتمس في نفسه عدالة فوارق الطبقات ليصير

النافع في مجتمعاتها.

التفاعل الثالث: أن يتعرف بروحه إلى خواص ألوان القوميات ليصبح

الواحد في مجاميعها.

التفاعل الرابع: أن يرتاح بدنه لسكنى التضاريس الإقليمية ليمسى

المواطن في جميعها.

وبإتفاق كل مواطن مسلم لهذه التفاعلات الراسخات تصطبغ مرثياته
الإنفرادية بالكينونة البشرية للزعيم المجتبي ﷺ فيسمو بمفرده
إلى علياء المسلمين. بهذا الرباط الإيماني الانتمائي يكون كل من أراد
الارتقاء إلى المعية المحمدية المانعة بمكوناته الإنسانية وبمرثياته
الانفرادية محمدي التكوين وعندما يصير كل فرد من المسلمين محمدي
التكوين يتحول عنده الالتزام المتزامن والمتتابع من التزام بأداء إلى أسوة
بإقتداء.

وهكذا فالارتباط بشخص سيد البشر محمد ﷺ يتكون من كل مسلم
مواطن محمدي التكوين جمع طريق المعية المحمدية المانعة تحت ظل
راية الزعامة المحمدية الجامعة فيكون عامة المواطنين المسلمين جمع
إنسان محمد ﷺ (١).

(١) الوثيقة البيضاء — الأسرة الدندراوية تكوين وكيان سمو الأمير الفضل بن العباس.

حقوق المواطن

حقوق المواطن إلى أقسام ثلاثة رئيسية هي :

تنقسم

١ - حقوق عامة أوردتها الدراسات القانونية.

٢ - حقوق خاصة بالفرد جاءت بقوانين وقرارات خاصة.

٣ - حقوق المواطن من منظور إسلامي.

وسنعرض هذه الحقوق تبعا لهذه التقسيمات كما يلي :

أولاً: حقوق المواطن في الدراسات القانونية:

تعريف الحق: تعددت النظريات التي عرف أصحابها الحق ونعرض خلاصتها فيما يلي:

(أ) نظرية الإرادة: تعرف الحق بأنه قدرة أو سلطة إدارية. فهو سلطة معينة يقربها القانون لإرادة صاحبها.

(ب) نظرية المصلحة: وتعرف الحق بأنه مصلحة يحميها القانون وتقوم على تحقيقها والدفاع عنها قدرة إرادية معينة. وهكذا ارتبطت هذه النظرية في تعريفها للحق بنظرية الإرادة حيث جعلت المصلحة تقوم على تحقيقها والدفاع عنها قدرة إرادية.

(ج) النظريات الحديثة: تتعدد في اتجاهات ثلاثة هي:

١ - الحق ينشئ علاقة انتماء بين الشيء الذى يرد عليه ، ومن صاحب الحق بمقتضاها يكون لصاحب الحق دون غيره التسلط والحجة فى مواجهة الغير ويتمتع بالحماية القانونية.

٢ - الحق ميزة يمكن للمستفيد أن يدعيها. وهذه الميزة تشكل مالا لصاحبه أن يتصرف فيه بمعنى أن تكون له القدرة على نقله إلى الآخرين أو التخلي عنه أو تركه لهم.

٣ - الحق تقييد مشروع لحرية الغير تقرره القاعدة القانونية لصالح صاحب الحق الذى يفيد بذلك من مجال مخصص له لممارسة سلطاته. وبعد استعراض جميع هذه النظريات فى تعريف الحق نلاحظ عليها ما يلى :

١ - يجمعها كلها قاسم مشترك هو وجود علاقة بين الحق وصاحبه.

٢ - هذه العلاقة الموجودة فى كل نظرية تختلف فى مضمونها من واقع النظرة إليها أو استنادها. فهى إما انتماء وإما سلطة وإما قدرة وإما ميزة أو تقييد.

٣ - جميع النظريات فى تعريف الحق تبين أن هذا الحق يقر به القانون أو يحميه أو يكون بشكل مشروع أو تحت الحماية القانونية. وبالمعنى العام لابد أن يكون فى إطار من الشرعية القانونية^(١).

(١) د. محمود سلام زنتى ، مبادئ القانون أو المدخل لدراسته ، القانون سنة ١٩٧٧ صفحة ٢٩٥ وما بعدها.

أنواع حقوق المواطن فى الدراسات القانونية:

تتنوع إلى أنواع مختلفة كما يلى :

أولاً: الحقوق السياسية والحقوق المدنية:

(أ) الحقوق السياسية: تثبت للمواطن فى الدولة بهدف تمكينه من المشاركة فى حياتها السياسية ولا يعترف بها للأجانب كحق التصويت فى الانتخابات والاستفتاءات وحق الترشح فى المجالس النيابية والشعبية.

(ب) الحقوق المدنية: وهى أوسع نطاقاً ولا تتسم بالطابع السياسى وتضم كل الحقوق التى يحتاج إليها الأفراد لمباشرة ما تنطوى عليه حياتهم من أنشطة.

ثانياً: الحقوق المالية والحقوق غير المالية:

(أ) الحقوق المالية: هى التى يمكن تقويمها بالمال وتدخل فى الذمة المالية ويمكن التعامل فيها ويجوز التصرف فيها والحجز عليها وتجوز وراثتها، وتخضع لنظام التقادم سواء بالنسبة لاكتسابها أو لانقضاءها. ومن أمثلتها حق الملكية وحق الانتفاع.

(ب) الحقوق غير المالية: هى التى لا تقوم بالمال كالحقوق السياسية ومعظم الحقوق الأسرية (كولاية الأب) ولا تخضع للتعامل ولا يجوز التصرف فيها ولا الحجز عليها ولا يسرى عليها التقادم اكتساباً وانقضاءً، ولكن يمكن أن تنشأ عنه حقوق مالية، وذلك عند الاعتداء

على أحدها. كما أن هناك حقوقاً لها طابع مزدوج كحق المؤلف على مؤلفه له جانب معنوي غير مالى وجانب مادي وهو حق مالى.

ثالثاً: الحقوق العينية والحقوق الشخصية والحقوق الذهنية:

١ - الحقوق العينية: هي حقوق تنصب على أشياء وتخول لصاحبها سلطة مباشرة على الشيء المعين بالذات وله ميزة التتبع أى السلطة فى ممارسة حقه على الشيء فى أى يد يوجد. وتنقسم هذه الحقوق إلى: أصلية: لا تستند فى وجودها إلى حق آخر فهى توجد مستقلة، وتكون مقصورة على ذاتها وتتنوع إلى حق الملكية: هو أهمها وأكملها، فلصاحبه كل السلطات على الشيء المملوك.

حق الاستعمال: استخدام الشيء فيما أعد له.

حق الاستغلال: هو استثمار الشيء.

حق التصرف: هو استخدام الشيء استخداماً يستنفده كلياً أو جزئياً أو بأحداث تغيير جوهري فيه، وقد يكون تغييراً مادياً بالقضاء على مادته، وقد يكون تغييراً قانونياً بنقل ملكية كل أو بعض عناصره للغير، ويتفرع إلى حق الملكية وحق الانتفاع وحق الاستعمال وحق السكنى.

حق الحكر: يكون على العقار الموقوف ولا يجوز حق الحكر إلا لضرورة ولا يتجاوز ٦٠ سنة وينتقل للورثة.

حق الارتفاق: تكليف يتقرر على عقار لصالح عقار آخر كحق المسكن أو المرور أو الشرب^(١).

(١) المرجع السابق، د. محمود زياتى، مبادئ القانون صفحة ٣٠٤ وما بعدها.

الحقوق العينية التبعية: هي حقوق تستند فى وجودها إلى حق شخص وهى تنشأ لضمان الوفاء به، والضمان نوعان: ضمان عام (الذمة المالية)، وضمان خاص يضاف إلى الضمان العام (الذمة المالية) والحق العينى التبعى يكفل لصاحبه أن ينفذ على المال الذى يتقرر عليه الحق ولو كان هذا المال قد نقلت ملكيته إلى آخر (ميزة التتبع). كما أن لصاحب الحق العينى التبعى أن يحصل على ماله من دين قبل المدين مفضلاً على غيره من الدائنين (ميزة الأفضلية)، وأنواع الحقوق العينية التبعية هى:

○ حق الرهن: هو نوعان: رسمى: ينشأ بمقتضى عقد رسمى يتم تحريره بواسطة موظف عام بمكتب توثيق ويكون على العقار ولا تنتقل حيازة المال المرهون. حيازى: تنتقل فيه حيازة المال ولا يحتاج إلى توثيق ويكون للمنقول.

○ حق الاختصاص: للدائن الصادر لصالحه حكم وانجب التنفيذ الحق فى طلب تقرير حق الاختصاص له على عقار أو أكثر من عقارات مدينة وذلك بتقديم عريضة دعوى لرئيس المحكمة الواقع فى دائرتها العقارات المطلوب تخصيصها ويدون رئيس المحكمة فى ذيل العريضة أمره بالاختصاص وللاحتجاج به لدى الغير.

○ حق الامتياز: هو أولوية يقرر القانون الحق منه مراعاة منه لصفته ولا يكون إلا بنص القانون وهو نوعان:

عام: يرد على كل أموال المدين ولا يخول لصاحبه إلا ميزة الأولوية (التقدم).

خاص : يقتصر على مال محدد أو أموال معينة من أموال المدين ويخول لصاحبه ميزتى التتبع والألوية (التقدم).

٢ - الحقوق الشخصية : (حقوق الدائنية) : الحق الشخصى رابطة بين شخصين بمقتضاها يحق لأحدهما (الدائن) أن يطالب الآخر (المدين) بأداء عمل معين أو الامتناع عن عمل معين فإذا لم يف المدين للدائن بما ارتبطا به يحق للدائن أن يقاضيه وينفذ حكمه على أموال المدين التى يمكن الحجز عليها لبيعها.

٣ - الحقوق الذهنية : هى حقوق ترد على النتاج ذهنى كحق المؤلف على مؤلفه وحق المخترع على براءة اختراعه.

وهكذا ينتهى عرض الحقوق وحق الدراسات القانونية بأنواعها المختلفة عرضاً مركزاً يتناسب مع ظروف مساحة الكتاب. أما تفصيل الحديث عنها فيرجع إليه فى المراجع القانونية التى تزخر بشرحها المستفيض^(١).

الحقوق الخاصة بالمواطن «القوانين والقرارات الخاصة»:

يحتاج كل مواطن وهو يمارس حياته اليومية إلى العلم بحقوقه فى مواجهة رجال الشرطة والنيابة العامة والقضاء. وتتمثل المواقف أمامهم كما يأتى:

(١) المرجع السابق، د. محمود سلام زنتى، مبادئ القانون ص ٣٠٥ وما بعدها.

أولاً: فى مواجهة الشرطة:

(أ) استيقاف المواطن: وما يستتبعه من اقتياد إلى قسم الشرطة ومستلزمات الاستيقاف من إجراء مزيد من التحرى: ولما كان ذلك كله يمس حرية المواطن ويعتبر قيداً عليها فإنه لا يجوز إلا إذا كان المواطن المار فى الطريق قد وضع نفسه طواعية واختياراً موضع شبهة أو ريبة ظاهرة كأن يبدو عليه الارتباك والتلفت يمنة ويسرة حتى لو أسفر الاستيقاف الباطل عن كشف حالة تلبس فإن كافة الإجراءات المتخذة بشأنها تكون باطلة.

(ب) القبض على المواطن المتهم: يمثل اعتداء ظاهراً على حرية الشخصية، لذلك فهو إجراء خطير لحجز المواطن وتقييد حرية فى التجوال والحركة. ولذلك فلا يستطيع رجل الشرطة أن يباشر هذا الإجراء إلا إذا كان من مأمورى الضبط القضائى وكانت الجريمة من الجرائم التى يجوز القبض فيها.

مأمورو الضبط القضائى «فئتان»:

الأولى: أعضاء النيابة العامة ومعاونوها وضباط الشرطة وأمنائها والكونستبلات والمساعدون ورؤساء نقاط الشرطة وعمد ومشايخ البلاد ومشايخ الخفراء ونظار ووكلاء محطات السكك الحديدية (فى دائرة عملهم).
الثانية: (فى جميع أنحاء الجمهورية) مديرو وضباط إدارة المباحث العامة بوزارة الداخلية وفروعها بمديرى الأمن وضباط مصلحة

السجون ومديرو الإدارة العامة لشركة السكة الحديد والنقل والمواصلات وضباط هذه الإدارة وقائد وضباط أساس هجانة الشرطة ومفتشو وزارة السياحة. وسلطة هؤلاء - أى منهم - أن يقبض على المواطن فى حالة التلبس بالجنايات أو الجنح التى يعاقب عليها القانون بالحبس لمدة تزيد على ثلاثة أشهر بشرط وجود دلائل كافية على الاتهام.

ولسه أن يفتح فوراً محضراً يسمع فيه أقوال المواطن المتهم المقبوض عليه وليس من حقه أستجوابه وإذا لم يأت المواطن المتهم بما يبرئته وجب على مأمور الضبط إرساله فى مدى ٢٤ ساعة إلى النيابة العامة التى يجب عليها استجواب المتهم فى ظرف ٢٤ ساعة أخرى ثم تأمر إما بالقبض عليه إن كانت هناك دلائل على اتهامه وإما بإطلاق سراحه إن ثبتت براءته.

حضور المحامى: لا مانع من حضوره أثناء تحرير محضر الأحوال أمام مأمور الضبط القضائى ولا يلزمه القانون بقبول هذا الحضور وإذا منعه لا يكون المحضر باطلاً. أما إذا كان التحقيق بناء على ندب من النيابة العامة أو أمامها فلا يمكن منع المحامى من الحضور.

التعرض المادى: هو مجرد وسيلة للحيلولة دون فرار المواطن فى حالة التلبس فى جريمة لتسليمه إلى السلطة المختصة بالتحقيق، ويملك ذلك الحق المواطن العادى كما يملكه من باب أولى رجل الشرطة، ولو لم تكن له صفة الضبطية القضائية لأنه إجراء تقتضيه الضرورة.

التفتيش: فى جميع الأحوال التى يجوز فيها لمأمور الضبطية القضائية أن يقبض على المواطن المتهم يجوز له أن يفتشه أيضًا. فإذا كانت المواطنة أنثى فلا يجوز تفتيشها إلا بمعرفة أنثى يندبها لذلك مأمور الضبط - ولو رضيت - والتفتيش المحظور، وهو ما يتعلق بالمواضع التى تعتبر من عورات المرأة والتى تחדش حيائها إذا مست. أما اليد وأصابع القدم العارية فتفتيشها صحيح ولو لم تباشره أنثى.

وتفتيش شخص آخر غير المواطن المتهم: لا يجوز إلا إذا كان فى المسكن الذى فيه المواطن المتهم وقامت قرائن قوية على أنه يخفى شيئاً يفيد فى كشف الحقيقة أو بدا عليه الارتباك.

تفتيش مسكن المواطن المتهم: لا يجوز لمأمور الضبط بأية حال إلا إذا حصل على إذن من النيابة العامة.

تفتيش دكان أو متجر أو سيارة المواطن المتهم: حرمتها مستمدة من اتصالها بشخص المواطن. ففى جميع الحالات التى يجوز فيها تفتيش شخص المواطن المتهم يجوز أيضًا تفتيشها.

تفتيش مسكن المواطن غير المتهم: لا يجوز لمأمور الضبط ولا للنيابة العامة إلا بعد الحصول مقدمًا على أمر مسبب من القاضى الجزئى بعد اطلاعه على الأوراق.

تفتيش المسافرين إلى الخارج والقادمين فى المناطق الجمركية: لا يعتبر تفتيشًا قضائيًا بالمعنى المقصود قانونًا وإنما هو تفتيش إدارى يقوم به

الموظفون العموميون، ومن في حكمهم. يقصد تحقيق أهداف إدارية أو وقائية عامة، فإذا أسفر هذا التفتيش الإداري عن ظهور جريمة في حالة تلبس فإن الدليل المستمد منه يكون صحيحًا.

تفتيش الخارجين من المصنع على بوابته: صحيح لأنه يرجع إلى رضا المواطن وقبوله وفق النظام الموضوع له. وإذا أسفر عن شيء تعد حيازته جريمة قامت بذلك حالة التلبس.

وقت التفتيش: ليس له أوقات معينة يجب إجراؤه فيها فيمكن حصوله في أي وقت.

كيفية دخول البيت بعد الحصول على إذن تفتيشه: من حق مأمور الضبط دخوله بدون استئذان صاحبه أو حائزه أو في غيبته وبالطريقة التي يراها مناسبة ولو كان متنكرًا.

بطلان إجراء التفتيش إذا وقع على مكان غير المكان المتوقع فيه الشيء المطلوب فيبطل التفتيش عن جاموسة مسروقة لو تكشف عن وجود مواد مخدرة في دولاب ملابس.

ثانيًا: حقوق المواطن المتهم أمام النيابة العامة:

النيابة العامة هي جهاز يمثل المجتمع، هدفها تحقيق المصلحة العامة وتطبيق القانون على الوجه السليم.

ونظامها: هرمي من القمة إلى القاعدة، النائب العام والنواب العموم المساعدون والمحامون العموم الأول والمحامون العموم ورؤساء النيابة

العامة ووكلاء النيابة العامة الأول ووكلاء النيابة ومساعدو النيابة العامة ومعاونو النيابة العامة.

ومهمتها: مباشرة التحقيق مع المتهمين فى الجرائم بأنواعها (الجنايات والجنتح والمخالفات).

وبعد استجواب المتهم قد تأمر بإطلاق سراحه عند عدم وجود أدلة كافية لإدانته وبدون كفالة أو تعلق الإفراج عنه على دفع كفالة يقدرها وكيل النيابة العامة فى أمر الإفراج بمبلغ يدفع لخزانة المحكمة كضمان التزام المواطن المتهم بالحضور وبالواجبات الأخرى المفروضة عليه. وقد تأمر بحبسه احتياطياً (قد عدل القانون وألغى الحبس الاحتياطى فى كثير من الجرائم)، كما لا يوجد ما يسمى بالحبس المطلق.

وخلال مدة الحبس إما أن يصدر الأمر بالإفراج عنه بكفالة أو بدون حتى يستوفى التحقيق وبعد إنهائه قد ترى النيابة أن التهمة غير صحيحة أو أن الفعل لا يعاقب عليه القانون أو أن أدلة الجريمة غير كافية، وعندئذ تصدر أمراً بعدم وجود وجه لإقامة الدعوى، وكذلك تصدره عند عدم الأهمية أو اكتفاء بالجزاء الإدارى إن كان موظفاً توقع عليه ذلك الجزاء. أما إذا وجدت النيابة العامة جريمة من أى نوع فإنها تأمر برفع الدعوى إلى المحكمة المختصة.

حقوق المواطن أمام القضاء: تندرج المحاكم القضائية إلى الأنواع الآتية:

المحكمة الجزئية: وهى محكمة درجة أولى من قاض واحد.

محكمة الجنج والمخالفات المستأنفة: درجة ثانية وهى إحدى دوائر المحكمة الابتدائية إذا ما طعن أصحاب الشأن فى حكم محكمة الدرجة الأولى وتشكل من ثلاثة قضاة.

محكمة الجنايات: هى إحدى دوائر محكمة الاستئناف وتشكل من ثلاثة من مستشارى المحكمة وتختص بنظر الجنايات وبصفة استثنائية تنظر الجنج التى تقع بطريق النشر والصحف وتنعقد بكل مدينة وأحكامها لا تقبل الاستئناف.

محكمة الأحداث: توجد دائرة فى كل محافظة وتشكل من قاض واحد يعاونه خبيران من المتخصصين أحدهما على الأقل من النساء، ويكون حضورها إجراءات المحاكمة وجوباً وتختص بالنظر فى الجرائم التى يرتكبها المواطن الحدث أيا كان نوعها (جناية - جنحة = مخالفة)، وإذا اشترك مع الحدث بالغ يقدم الحدث وحده أمام محكمة الأحداث. ويجوز استئناف الأحكام الصادرة منها عدا أحكام التوبيخ، وتسليم الحدث إلى والديه أو لمن له حق الولاية عليه فلا يجوز استئنافها إلا لخطأ فى تطبيق القانون أو بطلان فى الحكم أو فى الإجراءات المؤثرة فيه.

محكمة النقض: مقرها العاصمة (بالقاهرة)، وتشكل بها عدة دوائر لنظر القضايا الجنائية والمدنية والتجارية والعمالية والأحوال الشخصية، وتصدر أحكامها من خمسة مستشارين.

وتقتصر وظيفتها على مراقبة صحة تطبيق القانون وتفسيره وسلامة إجراءات الدعوى وتنظر الطعون المرفوعة إليها بشأن أحكام محكمة

الجنايات أو الصادرة من محاكم ثانى درجة فى الجناح ولا يجوز الطعن بالنقض فى المخالفات.

المحكمة الدستورية العليا: هيئة قضائية مستقلة مقرها العاصمة (القاهرة) تختص بما يلى:

- ١ - الرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح.
 - ٢ - الفصل فى تنازع الاختصاص بين جهات القضاء والجهات ذات الاختصاص القضائى.
 - ٣ - الفصل فى النزاع الذى يقوم بشأن تنفيذ حكمين نهائيين متناقضين صدر أحدهما من جهة قضائية والآخر من جهة أخرى.
 - ٤ - تفسير نصوص القوانين الصادرة من السلطة التشريعية ومن رئيس الجمهورية وفقاً لأحكام الدستور.
- وتصدر أحكامها وقراراتها من سبعة أعضاء.

حضور المواطن المتهم أمام المحاكم:

- ١ - أمام محكمة الجناح والمخالفات بناء على طلب النيابة العامة قبل انقضاء الجلسة بيوم كامل فى المخالفات. وبثلاثة أيام كاملة على الأقل فى الجناح غير مسافة الطريق.
- ٢ - إذا كان التكليف بالحضور باطلاً فلا يجوز للمحكمة أن تفصل فى الدعوى فإذا حكمت فيها وقع الحكم باطلاً، وذلك مشروط بعدم حضور المواطن المتهم فإذا حضر على رغم البطلان فليس له أن يتمسك به، بل له أن يطلب التأجيل لتحقيق دفاعه ويلزمه القانون الحضور

بنفسه إن كانت التهمة الموجهة له جنحة عقوبتها الحبس الذى يجب تنفيذه فور صدور الحكم. مع عدم الإخلال بحق المحكمة فى أن تأمر بحضور المتهم شخصياً فى أية قضية منظورة أمامها.

٣ - يجب على المحكمة أن تجيب المواطن المتهم ومن يدافع عنه فى أى طلبات يكون من شأنها التأثير على رأيها كسماع بعض الشهود. فإذا رفضت طلباً وجب أن تبين سبب الرفض وإلا كان الحكم مشوباً بعيب الإخلال بحق الدفاع، أما المخالفات فالمحاضر المحررة فيها لها حجية بالنسبة لما ورد بها من وقائع ما لم يثبت ما ينفيها. وتبدأ إجراءات المحاكمة بسؤال المواطن المتهم عما إذا كان اعترافاً أو لا. فإن كان اعترافاً جاز لها الاكتفاء به. أما إذا أنكر فتواصل المحكمة بالإجراءات بسماع الشهود والمحامى ويكون المواطن المتهم آخر من يتكلم.

٤ - لخطورة الحكم بالإعدام أوجب القانون على المحكمة أخذ رأى المفتى بإرسال أوراق القضية إليه قبل الحكم فيها، فإذا لم يصل رده فى عشرة أيام تالية للإرسال حكمت المحكمة فى الدعوى.

المعارضة فى الحكم: إذا صدر غيابياً من محكمة الجنح والمخالفات الجزئية أو المستأنفة يمكن للمواطن المتهم المعارضة فيه خلال عشرة أيام من تاريخ إعلانه من إضافة مدة المسافة ويترتب على المعارضة وقف تنفيذ الحكم حتى يتم الفصل فى المعارضة إلا إذا كان الحكم بالحبس لمدة شهر فأكثر، ولم يكن للمتهم المواطن محل إقامة معين فيجوز للمحكمة بناء على طلب النيابة العامة أن تأمر بالقبض عليه وحبسه.

فإذا غاب المعارض فى الحكم الغيابى فللمحكمة أن تعتبر المعارضة كأن لم تكن ، كما يجوز لها أن تأمر بالتنفيذ المؤقت بالنسبة للتعويض. ويجوز لو حكم باعتبار معارضته كأن لم تكن أن يطعن فى الحكم أمام المحكمة الأعلى (الجنح المستأنفة) فإذا قبلت عذره ألغت الحكم وأعادت الدعوى إلى المحكمة التى أصدرته لتتنظر فى المعارضة من جديد.

ويجوز لكل من المواطن والمتهم والنيابة العامة استئناف الحكم فى جنحة ولو كان بالغرامة. أما المخالفة فإذا كان الحكم بغير الغرامة والمصاريف أو حكم بالبراءة أو لم يحكم بما طلبته النيابة العامة جاز الاستئناف خلال عشرة أيام من تاريخ النطق بالحكم الحضورى أو من تاريخ إعلان الحكم الغيابى مع إضافة مواعيد المسافة.

الاستئناف: يتم بتقرير فى قلم كتاب المحكمة التى أصدرت الحكم ويحرره الموظف المختص على النموذج المعد لذلك ، ويمكن أن يتم بمعرفة وكيل أو محامى المواطن المحكوم عليه والاستئناف بوقف التنفيذ ما عدا الأحكام واجبة النفاذ كالحكم بالغرامة أو التى تصدر على المتهم العائد أو من ليس له محل إقامة ثابت.

وتتعدد بهيئة استئنافية من ثلاثة قضاة وتسمى محكمة الجنح والمخالفات المستأنفة ، ويجب أن يصدر الحكم بإجماع آراء القضاة إذا استأنفت النيابة العامة حكم البراءة ولا يضر الطاعن بطعنه فلا تسترد عليه العقوبة إمّا أن تلغى وإمّا أن تخفف. ويمكن الطعن فى الحكم بالاستئناف أمام محكمة النقض.

الطعن بالنقض: يجوز فى الأحكام الصادرة فى الجنائيات والجنح المستأنفة ولا يجوز فى المخالفات ولا فى الجنح التى لم يطعن فيها بالاستئناف. وميعاده أربعون يومًا من تاريخ صدور الحكم الحضورى ولا يضاف ميعاد المسافة ولا يجوز الطعن فى أحكام محكمة النقض ولا التظلم منها.

طرق أخرى للطعن:

١ - طلب إعادة النظر: لا يجوز إلا فى الأحكام الصادرة بالعقوبة دون الصادرة بالبراءة فى الجنائيات والجنح فقط، وليس له ميعاد. ويشترط أن يقدم بعد الحكم النهائى إذا ما ظهرت وقائع وأوراق يكون من شأنها ثبوت براءة المحكوم عليه. ويقدم الطلب إلى النائب العام الذى يرفعه إلى محكمة النقض.

٢ - إشكالات التنفيذ: وهى التى تنشأ عن تنفيذ الحكم بسبب غموضه أو بطلانه أو انعدامه، ويقدم من المحكوم عليه إلى محكمة الجنائيات إذا كان الحكم صادرًا منها وإلى محكمة الجنح المستأنفة فيما عدا ذلك - ويعرض الإشكال على المحكمة بواسطة النيابة العامة على وجه السرعة ويجوز لها عند الاقتضاء وقبل التقديم إلى المحكمة أن تأمر بوقف التنفيذ للحكم مؤقتًا^(١).

(١) سلسلة غريب للثقافة القانونية، نخبة من رجال القانون، طبعة أولى، مكتبة غريب الفجالة، جمع وترتيب عبد الحميد أحمد غريب.

حقوق المواطن وواجباته من منظور إسلامي:

كفلت الشريعة الإسلامية للمواطنين حقوقاً بدونها تصبح حياتهم ناقصة، ولا تتحقق بدونها عبوديتهم لله وحده على الوجه الأكمل. وأشهر هذه الحقوق وأظهرها: حق الحياة، وحق الحرية، وحق العلم، وحق الملكية.

وبمقتضى التوازن والتوسط والمعادلة لم تمنح الشريعة الإسلامية حقاً بغير واجب وجعلت أداء هذا الواجب بمثابة الفرض على القادر.

وسنشرح كل حق من هذه الحقوق الأربعة الشهيرة وما يقابله من واجب ثم نعقب على ذلك كله بإيضاح واجبات التكافل بصوره وأنواعه المختلفة وتمويله لنستكمل الصورة لما شملته الشريعة في هذا المجال:

الحق الأول: حق الحياة: فالله سبحانه وتعالى هو صانع الخلق أو صاحب النشأة الأولى. فحق الحياة حق أصيل ليس لمخلوق من دون الخالق أن يعتدى عليه أو يسلبه إلا في إطار ما تقرره الشريعة الإسلامية في حالتين: أولاهما: أن يكون حرمان النفس من حق الحياة قصاص نفس بنفس.

ثانيهما: أن تكون النفس قد أتت فساداً في الأرض استحققت عليه حد الحرابة والخطر لا بتهديد حق الحياة نتيجة لعدوان الغير فقط، وإنما قد يكون نابعاً من النفس ذاتها فقد يصل اليأس بالإنسان المواطن إلى درجة قتل نفسه فيكون مطروداً من رحمة الله.

الواجب المقابل : هو المحافظة على هذه الحياة ووقايتها من كل خطر وصرفها إلى طاعة الله عبادة وعملاً صالحاً. وتجريم محاولة قتل النفس (الانتحار).

الحق الثانى: حق الحرية: فالناس جميعاً عباد الرحمن منحوا حق الحرية حتى لا يكونوا عبيداً لسواه، ولذلك فالإسلام ينفر من العبودية لغير الله ولا تتم صيانة الحرية بمجرد الفرار من الظلم. فذلك مباح فقط للمستضعفين، أما المسلمون الأقوياء فمأمورون بالدفاع عن حريتهم ضد كل معتد عليها أو ظالم لها ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٢٩). وتمتد الحرية لتشمل حرية العقيدة التى هى احترام لإرادة الإنسان وحق الحرية حق مطلق فى الإسلام لا يقيد به إلا الالتزام بحرية الآخرين.

الواجب المقابل : عدم الإشراك بعبادة الله وعدم اقتصار الحرية على أناس مخصوصين أو على مجالات محدودة والالتزام بالدفاع عنها وحمايتها من الاعتداء عليها.

الحق الثالث: حق العلم: تأكيداً له كفل الله سبحانه وتعالى تعليم أبى البشر آدم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ (٢).

(١) سورة الحج، الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣١.

حق العلم مكفول في الإسلام بشروط أربعة هي:

- ١ - ألا يكتنم علماً يستفاد به في هداية الناس لما فيه صلاحهم.
 - ٢ - ألا يمتنع صاحب علم عن توظيفه في خدمة الناس.
 - ٣ - ألا يشتري صاحب العلم به ثمناً قليلاً فيهدر من قيمته.
 - ٤ - أن يطلب العلم من أهله فور الحاجة إليه.
- والواجب المقابل له: هو عدم كتمان العلم وتوظيفه فيما ينفع الناس ويطلب الزيادة فيه.

والحق الرابع: حق الملكية: عندما أستخلف الله الناس في الأرض سخر لهم ما في الكون ولم يميز أحداً إلا بما كسبت يداه حلالاً طيباً.

وعلى الإنسان أن يتصرف فيما أنعم الله عليه من عرض الدنيا بما يحفظ عليه حياته بغير إسراف أو تقتير. واشتراط الإسلام لإقرار حق الملكية أن تكون نتيجة لما يوافق الشريعة الإسلامية. ولا يكون مصدرها محرماً كالربا والغش والظلم.

والواجب المقابل: ما دام المال مال الله والناس مستخلفون فيه فلا بد من أداء حق الله منه وحق السائل والمحروم في أسلوب الزكاة والصدقات. وقد شمل التكافل بصوره وألوانه المختلفة الواجبات الرئيسية التي تجب على المواطن المسلم نحو مجتمعه وذلك على النحو التالي:

أنواع التكافل:

يقتنع التكافل على النحو الآتي:

١ - التكافل بين المواطن وذاته: من خلال تزكية النفس وتطهيرها من الخضوع للهوى والشهوات والبر بها في حدود ما أحل الله وعدم قتلها بالانتحار أو تعريضها للهلاك بغير مبرر.

٢ - التكافل بين المواطن وذوى قربه: من ذوى الأرحام برأ وإحساناً للصلة بهم: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١).

٣ - تكافل جماعة المواطنين إزاء نفسها: تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾^(٢). واحتساب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ - التكافل بين المواطن والجماعة: بكل من تربطه بهم علاقة رحم أو صلة جوار أو غيرها ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٣).

٥ - تكافل المجتمع الإسلامي مع نفسه: تحقيقاً للصالح العام للمجتمع وتصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤).

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٣٦.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧١.

وصور هذا التكافل تتمثل في :

(أ) رعاية حقوق المستضعفين من أعضاء المجتمع بالبر بهم والإحسان إليهم وحسن معاشرتهم.

(ب) بذل الأموال والرعاية للفئات المحتاجة كالإنفاق في سبيل الله.

٦ - صور أخرى للتكافل :

(أ) زيارة المريض وإطعام الجائع : فإن زيارة المريض تحمل معاني السود والوفاء وتترك آثارًا طيبة في نفس المريض وذويه ، إلا إذا كان المريض مريضًا بمرض معدٍ ، فقد دعا الإسلام إلى عزله بعيدًا حماية للمجتمع من العدوى وانتشار المرض.

وأما إطعام الجائع : فإنه يؤلف القلوب ويحقق التعاطف والتآلف.

(ب) صلاة الجماعة : حُبِّت إليها الشريعة الإسلامية باعتبارها مظهرًا من مظاهر التضامن الاجتماعي الإسلامي.

(ج) الإنابة في الحج : في حالة عدم الاستطاعة بعدم القدرة على أداء المناسك شرع الإسلام التوكيل في أدائها ، كما أجاز الحج بكل مناسكه نيابة عن الغير الذي توفي ولم يتمكن من أداء هذه الفريضة أو لم يستطع أدائها لأي سبب من الأسباب بشرط أن يكون الوكيل قد سبق له الحج عن نفسه.

(د) التضامن مع الموتى : ووصل التضامن إلى الأموات بأداء بعض العبادات عنهم وإنقاذ وصاياهم وأداء ما عليهم من زكاة وزيارة قبورهم والترحم عليهم بصلاة الجنازة أو الصدقة أو الدعاء

أو قضاء الديون وصنع الطعام وتقديمه لأهل الموتى لانشغالهم بهمهم ومواساتهم فيه بمشاركتهم أحزانهم والنهي عن سب الميت والاستغفار له^(١).

ألوان التكافل:

ننظر إلى التكافل من زاوية أخرى لنرى تلونه وانطباعاته على النحو الآتي:

١ - التكافل الأدبي: هو إحساس كل مواطن نحو إخوته في الإنسانية وإخوته في الدين بما يخالط مشاعرهم فيفرح لفرحهم ويأسى لمصائبهم، ويتمنى لهم الخير ويكره أن ينزل بهم الشر.

٢ - التكافل السياسي: هو تحمل كل مواطن لتبعة الحكم وتوجيه السياسة العامة للدولة وذلك بالمشاركة في الرأي وإبداء المشورة.

٣ - التكافل الدفاعي: هو مشاركة كل مواطن قادر في وجوب الدفاع والحماية لأرض الإسلام وذلك من أجل المحافظة على بقاء الجماعة الإسلامية واستقرار وجودها آمنة.

٤ - التكافل الجنائي: هو مسئولية الجماعة متضامنة عما يقع في المجتمع من جرائم.

٥ - التكافل الأخلاقي: يقصد به حراسة المبادئ الأخلاقية النابعة من عقيدة المؤمنين.

(١) د. صلاح مصطفى القوال، التصوير القرآني للمجتمع، المجلد الأول من ص ٦٣٩ وما بعدها بتصرف واختصار - دار الفكر العربي.

٦ - التكافل الاقتصادي: بالتعاون الصادق في المحافظة على اقتصاد الأمة سليمًا يؤدي دوره الطبيعي في خدمة الحياة.

٧ - التكافل العبادي: يتمثل في تكافل الجماعة الإسلامية في أداء العبادات وإظهار شعائرها كاجتذاب أصوات المؤذنين في أوقات الصلوات الخمس في مساجد المدن والقرى لأداء صلاة الجماعة في هذه المساجد. ثم شعائر الحج وتجمع المسلمين من جميع بقاع العالم الإسلامي لأدائها. ومظاهر إحياء شهر رمضان المعظم بالصيام والعبادة في كل بلاد المسلمين.

٨ - التكافل العلمي: أوجب الإسلام على المواطن العالم أن يعلم المواطن الجاهل وألزم المواطن الجاهل أن يتعلم من المواطن العالم. ففي الحديث الشريف^(١): «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم، ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة».

٩ - التكافل الحضاري: بجمع كل الألوان السابقة ويزيد عليها كل عمل فيه صلاح للأمة ورفعته ويتطلب تعاونًا إنسانيًا بناءً في الدعوة إلى الخير وإقرار دعائمه. وتعاونًا إنسانيًا بناءً في الابتعاد عن الشر وسد منافذه.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ونقله الحافظ والمنذرى في الترغيب والترهيب، صفحة

١٠ - التكافل العائلي : فالمواطن فرد وجزء من أسرة تتكون من أصوله وفروعه. كما هو جزء من الإنسانية العامة وأخ من حق الإسلام عليه أن يربطه بأسرته وعائلته التي تجمعت فيها كل هذه المعاني وأوجب على الجميع حق التكافل.

١١ - التكافل المعيشي : هو ما يرتبط بحياة الناس في معيشتهم من طعام وغذاء وكساء وسكن وحاجات اجتماعية، وهو واجب لا يمكن للمجتمع المسلم أن يتخلى عنه ويستحق هذا التكافل نوعان :
(أ) نوع يتميز بالعجز عن الكسب كلياً أو جزئياً : هم : الفقراء والمساكين والمكفوفون والمقعدون والشيخوخ واللقطاء واليتامى والأسرى- ولهم تشريع المساعدة.

(ب) نوع لا يتصف بالعجز ولكنه يحتاج إلى المساعدة المالية ولهم تشريع الإعفاف وتشريع الماعون وتشريع المشاركة وتشريع الضيافة وتشريع الإسعاف وتشريع الطوارئ.

موارد التكافل : الزكاة كفريضة، وزكاة الفطر والكفارات والركاز والغنائم والفيء والوصية والوقف والنفقات بالتبرع والנדور والأضاحى والخزانة العامة والكفاية بحرية حركة ولي الأمر حماية لحقوق المحتاجين^(١).

(١) د. عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن الكريم في تربية المجتمع الخانجي، مصر من صفحة ٣٥٣ وما بعدها.

المواطن غير المسلم

تحتوى دار السلام فى الوطن الإسلامى ضمن ما تحتوى على مجموعات تختلف فى عقائدها ودينها عن الدين الإسلامى ولم تغفل الشريعة الإسلامية حكم هؤلاء بل شمل وضعهم دستور المدنية منذ السنة الأولى من الهجرة، إذ يقول (اليهود والمؤمنون أمة واحدة) ولا توجد كلمة أقلية إذ لا أقلية فى الإسلام، ولكنه وضع تصورًا للأمة المحتوية على التنوع فى كل شيء دينيًا وقوميًا ولغويًا وجنسيًا وعرقيًا وثقافيًا، فهذا التنوع سنة من سنن الله التى لا تبدل لها ولا تحويل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾.

والإسلام لا يريد أن يحل محل الآخرين وبعض الناس يتصور أن ظهور الإسلام على الدين كله فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٢). يلغى الديانات الأخرى وليس هذا تصورًا صحيحًا وإنما المقصود هو ظهور الحل الإسلامى على الحلول الأخرى لمشاكل المجتمع.

(١) سورة هود، آخر الآية ١١٨ وأول الآية ١١٩.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٨.

ومن أمثلة معاملة النبي ﷺ الطيبة لأهل الكتاب أنه في العام العاشر من الهجرة جاء وفد من نصارى نجران إلى المدينة وصادف عيد الفصح في ذلك التاريخ ، ففتح النبي ﷺ لهم أبواب مسجد النبوة فصلوا فيه صلاة عيد الفصح.

ولم يعقد العهد لأهل نجران فقط بل إنه وصف العهد على أنه عهد أمان لكل من يدين بالنصرانية على مر التاريخ (ولنجران وحاشيتها ولأهل ملتها ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها ، قريبها وبعيدها ، فصيحها وأعجمها له جوار الله وذمة محمد ﷺ على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا ينتزع أسقف من أسقفية ولا راهب من رهبانيتها ، وأن أذب عنهم وأحرص على دينهم وملتهم أينما كانوا بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتي لأننى أعطيتهم عهد الله وعلى أن لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذى استوجبه حق الذمام والقرب عن الحرمة واستوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم ، وهذا فيما يخص اليهود والنصارى حتى الديانات الوضعية مثل المجوس وعبداء النار والبوذيين والهندوس وغيرهم^(١)).

(١) اللواء الإسلامى، العدد ١٢٧٧ سنة ٢٥ فى ١٢/٦/٢٠٠٦ الصفحة الرابعة، ندوات د. محمد عمارة.

المواطنون المسلمون وأهل الكتاب:

ينظم المنهج القرآنى فى مضمونه علاقة المواطنين المسلمين بالمجتمعات غير المسلمة بعد استسلامها فيجعلهم فى ذمة المسلمين وحمايتهم ويسمىهم أهل الذمة، ويفرض من الحقوق ما يعجز أى نظام بشرى فى تاريخ الإنسان أن يلحق به حتى ذابوا فى المجتمع الإسلامى وأصبحوا شركاء فى بنائه وإسعاده، كما حدد ما عليهم من واجبات للمجتمع الذى حماهم ودافع عنهم وهى لهم الاستقرار والأمان والخلاصة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وتطبيقات هذه القاعدة تتمثل فيما يلى:

(أ) حرمة الذم والمال والعرض: هو الرأى الغالب فى الفقه الإسلامى قدم الذمى كدم المسلم وديته كديته. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: (ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ونقض ذمة الله فلا يروح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً)^(١). وحكى أن رجلاً مسلماً قتل رجلاً من أهل الكتاب فرفع إلى النبى ﷺ فقال أنا أحق من وفى بذمته ثم أمر به فقتل^(٢). وإن المسلم تقطع يده إذا سرق مالاً مملوكاً للذمى.

(ب) مباشرة التصرفات التى تسمح بها شرائع أهل الكتاب: حتى لو كانت تتعارض مع ما تقضى به الشريعة الإسلامية مثل تعاطى الخمر وتربية الخنزير والتجارة فيهما، فهى مال مقوم عندهم ومن أتلّفها

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه بشرح ابن العربى المالكى، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠ هـ.

(٢) أبو الأعلى المودودى، حقوق أهل الذمة، كتاب المختار فهمى هويدى.

يلزم بقيمتها عند الحنفية، وأجاز جمهور الفقهاء للمسلم أن يوقف أو يوصى بشيء من ماله لغير المسلمين من أهل الذمة فتكون الوصية أو الوقف نافذاً^(١). وذلك لأن الوصية صلة وهي تجوز مع اختلاف الدين ولأن أعمال البر تجوز بين أهل الأديان المختلفة.

(ج) الحق في العمل والتجارة والضمان الاجتماعي: ضمن الإسلام لغير المسلمين الحق في ممارسة جميع ألوان النشاط الاقتصادي سواء بالتعاقد مع الغير أم بالعمل لحساب أنفسهم، ولهم أيضاً مزاولة ما يختارون من المهن الحرة ومباشرة ما يريدون من ألوان الأعمال والحرف كالمسلمين. والضمان الاجتماعي في المجتمع الإسلامي يعتبر مبدأ عاماً يشمل جميع أفراد المجتمع مسلمين وغير مسلمين، فإن دفع الضرر عن المحروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج واجب ديني للمواطن أيّاً كان مسلماً أو ذمياً^(٢).

وفي عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة النصاري بالعراق (جعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعمل من بيت المال. ورأى سيدنا عمر بن الخطاب يهودياً شيخاً شريفاً فأرسل إلى خازن المال وقال له: انظر هذا وضرباه والله ما أنصفناه إذا أكلنا شيبته ثم نخزله عند الهرم)^(٣).

(١) المادة (٩) من قانون الوصية ٧١ لسنة ١٩٤٦ - قانون الوقف ٤٨ لسنة ١٩٤٨. عبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، الطبعة الثالثة صفحة ٨١ لسنة ١٩٨١.

(٢) د. عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن في تربية المجتمع/ الخانجي بمصر ١٩٧١.

(٣) عبد الرحمن الشرقاوي، الفاروق عمر بن الخطاب، طبعة أولى سنة ٨٦ مركز الأهرام.

(د) تولَّى الوظائف العامة : سار الحكام المسلمون على مدى أربعة عشر قرنًا باستثناء عهود الضعف على إجازة تولَّى غير المسلمين الوظائف القيادية إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة. كما يحق لهم الخدمة في الجيش تطوعًا دون إجبار ، وتولَّى مناصب القضاء ، ولهم الحق في التمتع بممارسة الحقوق السياسية والمدنية التي للمسلمين كالشاركة في وزارة التنفيذ والتوظيف بالوظائف العامة^(١). وقد استخدم معاوية النصارى واليهود في أعمال الحكومة واستمر ذلك في الدولة العباسية.

ومن الأمثلة عَيْن معاوية آل سرجون النصارى في وظائف هامة فوالد يوحنا الدمشقي منصور بن سرجون كان وزيرًا ، ويوحنا نفسه عين مربيًا لابن معاوية يزيد وغيره من أبناء الخلفاء وعين المأمون نصرانيًا هاملاً لجمع الخراج في مدينة بادرة^(٢).

المشركون والإسلام:

إذا حل الإسلام ببلاد تفتش فيها الشرك وحاول أن يقيم فيها هذا النظام الاجتماعي والاقتصادي فيحل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله. فلم يذعنوا فما من منصف إلا يقول بقتالهم حتى يكون الدين كله لله وحتى تصبح كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى^(٣).

(١) وهبة الزحيلي ، نظام الإسلام منشورات جامعة بنى غازى ، صفحة ٤٠٣ ط ١ .

(٢) حسين العودات العرب .

(٣) محمد هيكل ، حياة محمد ، صفحة ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

المواطنون المسلمون «المجتمع المسلم»

المعنى اللغوي للمجتمع: من جمع الشيء المتفرق فاجتمع، والجمع اسم لجماعة الناس^(١).

المفهوم المعنوي للمجتمع: عبارة عن مجموعة من الناس الذين يعيشون سوياً، ويقال إنهم يعيشون في مجتمع أو جماعة. وتستعمل الكلمتان بمعنى واحد تقريباً والاختلاف في استعمالهما يكون على نوع ودرجة التنظيم في المجموعة وعلى مدى وعي الناس بأسلوبهم الاجتماعي في الحياة، وكلا الكلمتين يستلزم وجودهما بعض العوامل المشتركة: كالحياة في إقليم جغرافي معين والإحساس بالانتماء إلى نفس نوع المجموعة. ويمكن القول بأن المجتمع هو الجزء الاجتماعي الكامل من الجماعة^(٢). ويجب أن يكون هناك ترابط بين أفراد المجتمع ويظهر هذا الترابط في مجموعة من القيم والأهداف التي تميز فلسفة عامة لهذا المجتمع يمكن أن تشتق منها فلسفة تربوية. والمجتمع الإسلامي ترتبط حياته تماماً بتعاليم الله ونظمه^(٣).

(١) الإمام الرازي، مختار الصحاح، صفحة ٥٠٦.

(٢) ألك أناوى، التربية والمجتمع، ترجمة د. وهيب إبراهيم سمعان، مكتبة الأنجلو المصرية صفحة ٣، سنة ١٩٧٠.

(٣) د. مصطفى الرافعي، الإسلام ومشكلات العصر، طبعة أولى بيروت صفحة ٣٢، سنة ١٩٣٢..

كيفية تماسك المجتمع الإسلامى ليحقق أهدافه:

لما كان المجتمع الإسلامى هو المحتوى الذى يمكن المواطنين المكونين له من تحقيق إرادة الله من استخلاصهم فى الأرض، ولما كان هو الكيان الذى تتجسد فيه شريعة الله. فقد وضعت الشريعة الإسلامية الدعائم التى تحقق له التماسك ليصل إلى هدفه. وأهم هذه الدعائم ما يلى:

- ١ - التوحد والتآخى والتمسك بالعقيدة الإسلامية.
- ٢ - الأمانة عند التعامل بين الأعضاء تدعيمًا للثقة والمحبة بينهم.
- ٣ - التحذير من وهن الروح المعنوية وضعفها لدى أعضاء المجتمع.
- ٤ - عدم استغلال الضعفاء ومعاونتهم والأخذ بيدهم.
- ٥ - التكافل فى إشباع مختلف حاجات أعضاء المجتمع.
- ٦ - تيسير الأمور وتسييرها مع تسليم العبودية لله والتوكل عليه^(١).

خصائص المجتمع الإسلامى:

الإسلام فى حقيقته منهج ربانى للحياة البشرية وتتوقف كل إنجازات ذلك المنهج على الجهد البشرى لعباد الله المواطنين الصالحين بعيداً عن الخوارق غير المألوفة، وما هو فوق طاقة البشر وفى حدود الواقع المادى لكل بنية تحتويها دار الإسلام. فالإسلام لا يمكن أن

(١) د. عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن فى تربية المجتمع، مكتبة الخانجي سنة ١٩٧٩.

ينعزل عن الوجدان البشرى ولا أن يشد الناس بعيداً عن واقعهم حتى لا ينعزل عنهم.

ولم يكن الإسلام يسعى لإيجاد جمهرة من النساك وإنما كان مسعاه ولا يزال لإيجاد مجتمع صالح تمتزج فيه الدنيا بالآخرة بغير تعارض أو التواء ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١).

ويرتكز الإسلام على العقل والعمل ولا يفرق بين الدنيا والدين لأنه دين بغير واسطة لأن في وسع كل إنسان في أى زمان أو مكان أن يقيم علاقة مباشرة مع ربه من غير وسيط، ونستعرض خصائص المجتمع الإسلامى فيما يلى:

١ - ذو طبيعة خاصة: حيث لم توجد إرادة بشرية وإنما أوجدته إرادة الله تعالى وصنعتة شريعة خاصة لم تخضع لتطور تاريخى.

٢ - مصنوع لا مطبوع: صنعتة القدرة الربانية مستهدفة احتواء البشرية وثنشنتها وفقاً لمنهاج إلهى يختلف من حيث شكله ومضمونه مما وجد عليه البشر آباءهم أو عما تفرضه عليهم الظروف، فلم ينشأ تلبية لاحتياجات محلية موقوتة.

٣ - محاط بسياج من الشريعة: فهى تمثل إطاراً يحيط بالمجتمع الإسلامى ويحميه، ولكنه لا يشكل قيداً على تطوره ونموه. فإنها

(١) سورة القصص، الآية ٧٧.

تحرص على أن يظل بطابعه المميز عن غيره من المجتمعات الأخرى مع السماح بالاجتهاد المشروع الذي يراعى الحاجات المتجددة والمتعددة.

٤ - يسائر الفطرة البشرية السليمة: لأن الخالق الله أعلم بطبيعته التركيبية البشرية وخصائصها.

٥ - يحتوى المواطنون المسلمين مكونين له ويكون تجسيداً حياً وتطبيقاً واقعياً لشرعية الله ومنهجه ومناخاً صالحاً يتمكن الإنسان من خلاله من تحقيق مهمة استخلافه في الأرض، كما شاء الله له^(١).

مقومات المجتمع في الشريعة الإسلامية:

يقوم المجتمع المسلم على مميزات تسمو به على غيره من المجتمعات وهي:
أولاً: مؤمن، فقرة الإيمان والعقيدة لدى مواطني المجتمع الإسلامي هي الضمان الأكيد بل والوحيد ليس فقط لقيام ذلك المجتمع وإنما أيضاً لبقائه واستمراره ونموه وينتج عن ذلك ما يأتي:

(أ) مبدأ وحدانية الله يجب أن يستمر في وجدان المجتمع الإسلامي كما رسمته الشريعة الإسلامية.

(ب) المنتمون للمجتمع الإسلامي واحد من اثنين، إما مطيع لله ولرسله ملتزم بحدوده وأوامره ونواهيه فله الجنة، وإما عاص لتلك الحدود فله النار.

(١) د. صلاح مصطفى القوال، التصوير القرآني لمجتمع الإنسان والنظم الاجتماعية، الجزء الأول، دار الفكر العربي.

(ج) العلاقة بين الله والإنسان لا تخرج عن كونها أمراً وطاعة أمر من الله باسم الربوبية وطاعة من عباد الله والتزام بموجب المخلوقية.

(د) الغاية من الشريعة الإسلامية ليست تقييد الناس وإجبارهم على الخضوع لسلطان الله وإنما الغاية منها السيطرة على الشهوات والغرائز النابعة من النفس البشرية ووضع ضوابط تنظم حدود التعامل في إطار المجتمع.

(هـ) الإيمان بالله والإذعان لمشيئته شرط ضروري حتى يتبين أعضاء المجتمع الإسلامى ما يحتويه من سبل هداية وتطهير وإصلاح.

(و) الإيمان بالله مقرون بالإيمان برسوله ﷺ.

ثانياً: متساو: فالمساواة تعد من المبادئ الأساسية التى ينهض عليها المجتمع الإسلامى. فمن خطبة الوداع «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى على عجمى ولا عجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا فليعلم الشاهد منكم الغائب»^(١). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾^(٢).

ثالثاً: حر: عباد الله المخلصون أحرار يستمدون حریتهم جميعاً من إخلاصهم فى عبودیتهم لله وإفراد الألوهية له. والحرية التى قصدتها الشريعة الإسلامية متعددة الجوانب فهى:

(١) سيرة ابن هشام، مكتبة البابى، طبعة ثانية (من خطبة الوداع).

(٢) سورة النساء، الآية الأولى.

□ حرية فكرية: عندما احترمت الشريعة الإسلامية فكر الإنسان وخاطبت عقله ودعته للتأمل في خلق الله والتدبر في شئون الكون من حوله.

□ وحرية التعبير عن الرأي من غير غرور أو صلف أو إخلال تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣).

ومن الأدب الإسلامى فى التعبير عن رأى ألا يقتصر الحوار بين أفراد المجتمع المسلم وحدهم وإنما يمتد إلى غيرهم من أهل الكتاب تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣١).

وتمتد حرية التعبير بالرأى إلى المشاركة فى تسيير أمور المجتمع الإسلامى بالشورى لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (٣٢). إن الإنسان المواطن فى مجتمع الإسلام حر بكل ما فى الحرية من معان لا يسيطر عليه طاغوت ولا تستعبده شهوة ولا تتحكم فيه لذة أو متاع أو عرض زائل.

رابعاً: مسئول: فالمسئولية قد تكون مشاركة فى حكم وقد تكون دعوة للخير وقد تكون أمراً بالمعروف أو نهياً عن منكر، وقد تكون رعاية حق الله وحق الناس فيما يؤديه كل فرد من عمل أو يضطلع به من أمور.

(١) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٢) سورة المنكبوت، الآية ٤٦.

(٣) سورة الشورى، الآية ٣٨.

خامسا: عادل: فأحكام المعاملات وقواعد السلوك وما يخص الحكم والقضاء والشهادة والبيع يقوم على العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(١).

سادسا: متكافل: كفالة الفرد المسلم والجماعة المسلمة والمجتمع المسلم كل منهم إزاء نفسه وإزاء الآخرين كفالة متبادلة.

سابعا: عامل: يعد العمل أساس الاستخلاف في الأرض ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾^(٢).

سمات الأمة الإسلامية:

١ - **قيمية:** تبرز القيم المحبة والتكافل وخشية الله والإقرار بوحدانيته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والبر بالوالدين والإحسان إليهم وعدم إيذاء الأبناء وعدم ارتكاب من الأفعال ما لا يتفق وحقوق الله والناس.

٢ - **متماسكة:** تتوحد وتترابط من خلال اتباع الطريق المستقيم ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٢) سورة النور، الآية ٥٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٣ - ملتزمة : تأمر المعروف وتنهى عن المنكر مدفوعة إلى فعل الغير وعمل الصالحات .

٤ - متضامنة : تتعاون وتتناصر في محبة وتعاطف وتواد .

٥ - متميزة : وذلك تابع من ولاية المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض دون سواهم والتمايز على أساس عقائدى هو الإيمان .

٦ - مسالة : يسود السلام بين أعضائها وتعمهم المحبة . كما أنها مسالة مع غيرها ممن ليسوا على دين الإسلام إلا إذا أنقضوا العهد فأمرت بالرد قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِلَيْكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١٩٠) .^(١)

٧ - مجاهدة : مقاتلة في سبيل الله دفاعاً عن الدين والنفس والعرض . والحرب كما سبق قد تكون ضد المعتدين الذين ينقضون العهد والمواثيق .

٨ - عزيزة غير مهانة : لا تهاود على حساب مبادئها أو قيمها أو دينها وإنما في سبيل ذلك كله تقدم النفس والمال والولد حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ^(٢) .

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠ .

(٢) د. صلاح مصطفى الفوال، التصور القرآنى للمجتمع، الجزء الأول، صفحة ٦٩، ٦٠١ .

تصور الوثيقة البيضاء للمجتمع والكيان الإسلامى^(١):

إنه ليس كياناً من الكيانات الطائفية أو الطبقية ولا القومية أو الإقليمية وإنما هو كيان اجتماعى يجمع الأفراد والتجمعات المتباعدة فى وعاء الأسرة الواحدة (الأسرة الدندراوية).

بنية الكيان:

حتى يتحقق فى الكيان الدندراوى شكل بنیان مجتمع الإسلام وتشكيل نسيج أمة المسلمين تتألف البنية البشرية لكيانه الاجتماعى من مجتمع أى مكان أينما وجد السكان ومن أكثر من وطن مهما ابتعدت بأهلها الأوطان.

بنية الكيان الإسلامى من المنظور الدندراوى:

يجب أن يكون فيها من أفراد طبقات المجتمع بفئاته الأربع:

- ١ - فئة المال: عصب الحياة وفيهم الغنى وفيهم الفقير.
- ٢ - فئة القوة: دفع الحياة وفيهم القوى وفيهم الضعيف.
- ٣ - فئة العلم: تقدم الحياة وفيهم العالم وفيهم الأمى.
- ٤ - فئة النفوذ: نظام الحياة وفيهم الراعى وفيهم الرعية.

(١) سمو الأمير الفضل بن العباس، الوثيقة البيضاء، الأسرة الدندراوية (تكوين وكيان).

المواطنة

مفهوم المواطنة:

فى اللغة العربية: المفاعلة بين اثنين فأكثر قد يصبحون عشرات أو مئات أو ملايين يتفاعلون حول الوطن فيقتسمون كل الانتماءات وكل الحقوق والواجبات وبذلك يحققون انتماء آخر بعضهم لبعض بالتصاق مع الوطن الذى هو قطب الرحى فى هذا الانتماء ومنهم يتكون الشعب وتتكون الأمة.

والمواطنون يحملون دلالات أقوى من دلالات الشعب لأن كلمة الشعب لا تشعر بالانتماء وبالارتباط بالأرض وبالأخر إلا عرضاً. ولكن المواطنة تشعر بما يوحى به جذر الكلمة لغوياً وبما يوحى به مفهومها القانونى والسياسى وما يوحى به التفاعل بين الذين ينتمون إلى الوطن فيأخذون منه ما يعطى من حقوق ويمنحونه ما يتطلب من واجبات. والمواطنون يحملون دلالات أقوى من دلالات الأمة تستمد مفهومها أحياناً من الجنس أو اللغة أو الدين ولو اختلفت أوطانها أو باعدت التيارات السياسية بين دولها وباعد بينها التكوين الدولى.

ولكن المواطنة تقتضى الالتصاق بالوطن كأساس يفرض فى الغالب وحدة اللغة وأحياناً كثيرة وحدة العرق ووحدة الدين، ودائماً وحدة

الحكم ولو فسى اتحاد فدرالى ووحدة العلم بكل ما تعنيه من الدفاع عنه والاستشهاد فى سبيله^(١).

وبأسلوب آخر فالمواطنة لغة: مفاعلة أى تفاعل بين الإنسان المواطن وبين الوطن الذى ينتمى إليه ويعيش فيه وهى علاقة تفاعل لأنها ترتب للطرفين وعليهما العديد من الحقوق والواجبات.

ولابد لقيام المواطنة أن يكون المواطن وولاًؤه كاملين للوطن يحترم هويته ويؤمن بها وينتمى إليها ويدافع عنها بكل ما فى عناصر هذه الهوية من ثوابت اللغة والتاريخ والقيم والآداب العامة والأرض التى تمثل وعاء الهوية والمواطنين. وولاء المواطن لوطنه يستوجب البراء من أعداء هذا الوطن^(٢).

وبتعبير ثالث فالمواطنة لغة مفاعلة أى مشاركة. وقد يكون الإنسان مواطناً بحكم جنسيته أو مكان ولادته أو غيرهما من الأسباب، ولكن هل تكون لديه وطنية تجاه المكان الذى يعيش فيه^(٣). ويأتى تعريف آخر للمواطنة: أنها التعبير الاجتماعى لعملية انتماء الإنسان للواقع والموقع الذى يعيش فيه^(٤).

(١) عبد الكريم قطب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، سلسلة الثقافة القومية ٣٣ مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) محمد عمارة، السنة النبوية فى المواطنة، مقال فى جريدة الأخبار - العدد ٧٠٧٦ سنة ٥٥ الجمعة ١٢/١/٢٠٠٧.

(٣) د. خالد عبد العزيز الشريعة، رؤيا فى السياسة الاجتماعية، ورقة بحث مقدمة للقاء قادة العمل التربوى فى وزارة التربية - الباحة المحرم سنة ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م.

(٤) د. خالد عبد العزيز الشريعة، صناعة المواطنة فى عالم متغير (مرجع سابق).

وإن مواطنًا من غير وطن تائه ووطن من غير إنسان مهجور ولا معنى له والربط بينهما هو المواطنة هي التي تجعل المواطن مستقرًا في وطنه، هادئ البال فيه. كما تجعل الوطن معمورًا بالمواطنين الذين يحبون وطنهم ويفقدونه بالغالى والنفيس.

وبالمقارنة بين هذه المفاهيم الأربعة للمواطنة يتضح لنا الآتى :
أنها تتلاقى جميعها على وجه التقريب فى أنها مفاعلة وزنا ومعنى وتكون هذه المفاعلة فى التوطن أى المشاركة فى الوطن الواحد جنسية أو مكان ميلاد أو غيرهما كما أنها تتلاقى فى أن أحد طرفى العلاقة مواطن والآخر وطن وأن الرابطة بينهما تتمثل فى الانتماء والولاء وتبادل الحقوق التى للمواطن لدى الوطن ومقابلتها الواجبات التى للوطن على المواطن.
التمايز بين المواطنة وغيرها من المفاهيم السياسية الأخرى :
المواطنة والمواطن :

إن المواطن هو الإنسان الذى يستوطن الوطن ليكون معه كلما كان، ويلتقى المفهوم الأسمى للمواطن مع المفهوم الأسمى للإنسان فى أنه ليس تجريدًا ولكن يأخذ من مضامين الوطن ويمنحه كل مضامين المواطن لينتقل مفهوم المواطن إلى مفهوم أشمل، وهو المواطنة التى هى تفاعل المواطن مع الوطن، وبذلك يزيد المواطن اقترابًا من أسمى مفهوم الإنسانية فتصبح المواطنة إنسانية مضافا إليها التعلق بشخص آخر يشاركه فى الوطن ويقتسم معه كل مضامين الوطن والمواطن^(١).

(١) عهد الكريم قطب، سلسلة الثقافة القومية (٣٣) مركز دراسات الوحدة العربية (مرجع سابق).

المواطنة والوطنية:

إن الوطنية تنبع من حب الوطن والاندماج فى مقوماته الأرضية والإنسانية والعقائدية والفكرية والتاريخية والدفاع عنه إلى حد الاستشهاد.

وتعنى كذلك أن يرعى المواطن سيرة الوطن وهو يتحرك فى طريق التنمية الاقتصادية أو فى طريق التنمية الديمقراطية أو فى طريق تصحيح مسار الحكم^(١).

والوطنية هى الإطار الفكرى والنظرى للمواطنة بمعنى أن الوطنية عملية فكرية بينما المواطنة ممارسة عملية^(٢).

ومن جهة أخرى فالوطنية تعنى الانتماء والولاء الفكرى لموقع الوطن الذى يسكن المواطن فيه وتعنى المواطنة: المشاركة فى كل ما يخدم هذا المكان الذى يعيش فيه الإنسان المواطن^(٣).

المواطنة والهوية:

لو التمسنا تعريفاً لغوياً للهوية لكان تعريفها ما يكون الشيء به هو لكن الهوية التى نبحث عنها تتكون لدى الأمة والشعب والمواطن فى حلقات متتابعة من التاريخ على قدر ما انحدرت فى أعماق التاريخ.

(١) عبد الكريم قطب، سلسلة الثقافة القومية (٣٣) مركز دراسات الوحدة العربية (مرجع سابق).

(٢) د. خالد عبد العزيز الشريدة، صناعة المواطنة فى عالم متغير (مرجع سابق).

(٣) د. خالد عبد العزيز الشريدة، صناعة المواطنة فى عالم متغير (مرجع سابق).

والهوية القومية أساس من الهوية العامة للأمة والشعب والوطن والمواطن ولا نعى بالقومية العرقية. فتلك رؤية مختلفة للهوية، وإنما نعى القومية التى يبلورها الانتماء إلى مجموعة بشرية جمعها التاريخ واللغة وأهداف مشتركة ودين مشترك كل ذلك فى الغالب. ومفهوم الهوية مهدد من جديد بالنظام العالمى^(١): والمواطنة وإن كانت تتلاقى فى الانتماء مع الهوية فكل منهما لا بد أن يصاحبه انتماء إلى الوطن ينتسب إليه ضيقاً فى نطاق الوطنية أو متسعاً فى نطاق القومية.

المواطنة والقومية:

القومية جانب أوسع من الوطنية وإن كانت الكلمتان قد اختلفتا فقد تجاوز المفهومان. فالذين يتعلقون بالوطنية ينتسبون إلى الوطن كدولة والذين يتعلقون بالقومية ينتسبون إلى الأمة التى قد تستوطن أكثر من دولة والمواطنة فى حالة الوطنية أضيق مجالاً منها فى حالة القومية لأن الأولى نطاقها شعب يسكن دولة والأخرى مجالها شعوب تقيم فى عدة دول.

المواطنة والديمقراطية:

الحرية هى أساس الديمقراطية التى (هى حكم الشعب بالشعب وللشعب)، وتحقيق الحرية هو السبيل الوحيد لتحقيق الديمقراطية. ومع الحرية والقانون وضمان حقوق الناس بدأ النظام الديمقراطى ينظم

(١) أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، الثقافة (٢٢) عبد الكريم قطب.

نفسه بالدستور والقوانين التنظيمية والمؤسسة المنتخبة^(١). إن الشرعية الديمقراطية كمبدأ أى كإطار لممارسة الإنسان لحقوق المواطنة يجعلها سابقة على القنوات والمؤسسات التى تمارس فيها وبواسطتها^(٢). ويمكن القول فى إيجاز مركز أنه: لا ديمقراطية دون مواطن وحقوق مواطنة وهذه أزمة الدول المتأخرة^(٣).

المواطنة والدولة الحديثة:

إن مفهوم المواطنة هو أحد المكونات الأساسية والمتطورة للمعنى والمحتوى والدلالة فى إطار الدولة القومية الحديثة والرأسمالية الغربية ومن ثم أثر التطور فى كليهما على مفهوم المواطنة من الدلالات القانونية السياسية إلى الدلالات المدنية والحقوقية إلى مجال الحقوق الاجتماعية.

وإن مفهوم المواطنة بأبعاده ارتبط تاريخياً بتصورات الدولة القومية الحديثة وبحقوق والحريات الأساسية ومبدأ دولة القانون. وإن مفهوم المواطنة فى إطار الدولة القومية يواجه تحديات ما بعد القومية وإن نشوء قومية فى شكل كيانات كالاتحاد الأوروبى أدى إلى نشأة مجموعة

(١) أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، سلسلة الثقافة القومية (٢٣) عبد الكريم قطب.
(٢) د. محمد عابد الجابرى، سلسلة الثقافة القومية (٢٦) قضايا الفكر العربى، مركز دراسات الوحدة العربية.
(٣) نبيل عبد الفتاح، جريدة الدستور، العدد ٨٥ أول نوفمبر سنة ٢٠٠٦. المواطن والدولة الحديثة، صفحة ٢٥.

من الحقوق والالتزامات العابرة للحدود مما سيؤثر حتمًا في مفهوم المواطنة التقليدي الذي ارتبط بالدولة القومية^(١).

المواطنة وحقوق الإنسان:

هناك خلط يحدث في بعض الأحيان بين مفهوم المواطنة بما تقتضيه من حقوق وبين حقوق الإنسان، أو قد يعتبرهما البعض مترادفين بما اشتركا في الحقوق، ولكن حقوق الإنسان هي مبادئ إنسانية على الجميع دعمها وتبنيها وإتاحة الفرصة لتطبيقها. أما المواطنة فهي كفاح على أرض الواقع من أجل اكتساب الحقوق^(٢).

المواطنة والعولمة:

إن التحولات العالمية وما بعد الحديثة وما بعد القومية أثرت في مفهوم المواطنة، ولاسيما في ظل انكسار الحدود القومية وخاصة في دور متنام للاتفاقات الدولية وبروز مؤسسات عبارة لحدود الدول القومية بل وتصاعد الدور الذي تلعبه بعض الاتفاقات في إكساب مواطني بعض الدول الأطراف فيها حقوق المواطنة داخل نطاق دول أخرى متعاهدة معها ومثلها حقوق المواطنة في العمل والتقاضى في دول المجموعة الأوروبية^(٣).

(١) نبيل عبد الفتاح، المواطنة والدولة الحديثة، مقال بجريدة الدستور، العدد ٨٥ في أول نوفمبر سنة ٢٠٠٦ صفحة ٢٥.

(٢) نبيل عبد الفتاح، المواطنة والدولة الحديثة، مقال بجريدة الدستور، العدد ٨٥ في أول نوفمبر سنة ٢٠٠٦ صفحة ٢٥.

(٣) نبيل عبد الفتاح، المواطنة والدولة الحديثة، مقال بجريدة الدستور، العدد ٨٥ في أول نوفمبر سنة ٢٠٠٦ صفحة ٢٥.

المواطنة والانتماء:

الانتماء حاجة متأصلة في طبيعة النفس البشرية. وإنسان لا ينتمى لوطن تائه. ووطن من غير إنسان ينتمى إليه مكان مهجور لا معنى له^(١). وترتبط المواطنة بالانتماء ارتباطاً وثيقاً إذ إن الانتماء مظهر من مظاهر تفاعل المواطنة. فعندما يتفاعل المواطن مع وطنه في صورة المواطنة يظهر أول ما يظهر انتماءه لهذا الوطن في صورة ولاء وحب وإخلاص وتفان وتضحية وكل هذه النتائج تتمخض عن مظهر المواطنة في شكل انتماء بل إن الوطنية في حقيقتها إنما تعنى - في معناها القانوني الحديث - انتماء المواطن إلى دولة معينة يحمل جنسيتها ويدين بالولاء لها.

المواطنة والسياسة:

السياسة تعنى إدارة شئون الناس والتفكير فيها والتمييز بين صائبها وفاسدها والتعاون مع الذين تدار شئونهم بالتفكير والتشريع والممارسة والتوجيه والتغيير، والسياسة هي المحرك لجميع الشئون والمتحكمة في السلام والحرب والعلم والمعرفة والموجه الأساسي للاقتصاد نحو رفاهية الشعب (عند إحباطها يكون يؤس المجتمع) والوطن نفسه يفرض الثقافة السياسية الوطنية والتي تفرض نفسها على المتعلم المثقف حتى لا يبقى نائياً بفكره وإحساسه عن بلاده.

(١) ريان قوت، ترجمة ابن بكر وسحر الشبشكلي، مراجعة وتقديم فريدة النقاش، صفحة ٩٠.

بينما المواطنة كما سبق فى مفهومها هى تفاعل المواطنين بوطنهم، وتتقضى التصاقهم به وتفرض عليهم التجاوب معه والوطن يسعد ويشقى ويسمو علمياً وحضارياً وسياسياً بمشاركة مواطنيه الفعالة الدائمة والدائبة^(١).

إذن فالسياسة هى إطار التحرك ومجاله ووسيلته المشاركة التى هى روح المواطنة وبغيرها لا تتحقق فاعليتها ولا تثمر ولا تجدى.
المواطنة والقانون والعدالة:

مفهوم دولة القانون يكمل مفهوم القانون. ودولة القانون هى الدولة التى تعيش بالقانون وتمارسه تطبيقاً فى واقع حياتها فى كل تصرفاتها السياسية والقضائية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والأخلاقية.

ويكتمل مفهوم القانون بوضوح مفهوم العدالة التى تنفى عملياً كل أشكال الظلم فتحقق بذلك جوهر العدالة^(٢) فالقانون وسيلة لتحقيق غاية العدالة والقانون المحقق للعدالة هو المناخ المنظم للمشاركة الفعالة للمواطنة فلا تتواجد المواطنة بشكل منتظم محكوم إلا فى إطار من القانون الذى يستهدف العدل. ولقد سما القانون بالمواطنة ووضعها فى

(١) عبد الكريم قطب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، سلسلة الثقافة القومية العدد ٣٣ مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) عبد الكريم قطب، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير، سلسلة الثقافة القومية العدد ٣٣ مركز دراسات الوحدة العربية.

أعلى مكانة بل فيما يعرف بالقمة من القوانين. فموضع المواطنة غالباً من القوانين هو الدستور أو المواثيق، كما حدث في المادة ٤٠ من دستور جمهورية مصر العربية وكما حدث في دستور المدينة المنورة على عهد النبي ﷺ.

وحتى عند تعديل دستور جمهورية مصر العربية حظيت المواطنة بجانب كبير من الاهتمام وكان المقترح أن تكون بديلاً عن تحالف قوى الشعب العاملة في الدستور المقترح وتعديل مواده وهكذا اتضحت الصلة الوثيقة بين المواطنة والقانون المستهدف للعدالة.

المواطنة والحرية:

إن الحرية قيمة بذاتها لا تقاس ممارستها باعتباريات خارجة عن ذاتها وعن الإنسان الذي يمارسها، ولذلك لا مجال للتردد في تقنينها بالدساتير والقوانين. كما لا مجال للحد من ممارستها كاملة غير منقوصة^(١).

والضابط الأساسي لحدودها هو عدم الإضرار بالآخرين حسب القاعدة: (أنت حر فيما لا تضر)، وكما جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)^(٢).

ومن المعلوم أن الحرية حق هام، بل من أهم الحقوق المكفولة للمواطنة. فالعلاقة بين الحرية والمواطنة تتجلى في أن المواطنة عند

(١) المرجع السابق، عبد الكريم قطب، قضايا الفكر العربي.

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده.

مباشرتها تقتضى أن تتم هذه المباشرة فى حرية لا يقيدتها إلا تجنب الإضرار وذلك حتى يتحقق المرجو منها.

المواطنة والسلطة:

لابد للوطن فى شكل الدولة الحديثة من سلطة حاكمة تتعدد سبل توليها الحكم وفى النهاية لابد من وجودها كضرورة حتمية وضابط للتشريعات صدوراً وقضاءً وتنفيذاً ورعاية للحريات حماية وانضباطاً فلا تخرج عن مسارها وحدودها فتضر.

والمواطنة فى حاجة ماسة إلى السلطة التى تنظم تفاعلها ومشاركتها حتى لا تتحول إلى تخبط وتعارض وفوضى تضر بمصلحة الوطن والمواطنين. فالسلطة وقاية وحماية وتنظيم ورعاية المواطنة.

والسلطة فى الحقيقة لها معنيان: الأول: تعنى المؤسسات التى تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وقد تكون أربعة:

- ١ - سلطة تشريعية: تصدر التشريعات وتراقب تنفيذها.
- ١ - وسلطة تنفيذية: تنفذ القوانين بلوائح وقرارات.
- ٣ - وسلطة قضائية: تطبق القوانين واللوائح والقرارات.
- ٤ - سلطة الصحافة: للرأى والتعبير عن الآراء وإلقاء الضوء على جميع السياسات.

المعنى الثانى: السلطة المعنوية المخولة لكل من السلطات الأربع. وجميع هذه السلطات بأنواعها ومفاهيمها فى خدمة المواطنة وتيسر فهمها وتسهيلها.

المواطنة والنساء:

طالبت النساء لقرنين ماضيين كاملين بوجوب أن تصبح مطالبهن النوعية جزءاً من المواطنة أى بأن يصبحن نساء مواطنات. ولم يكن هذا المطلب مقبولاً ولم يلب خلال هاذين القرتين، وكانت هذه المطالب النسوية تحديداً هي ما يضع النساء في علاقة تتناقض مع المواطنة أو في أفضل الأحوال مفارقة وتتعارض معها.

والواضح أنه إذا كان شأن النساء أن يصبحن مواطنات أى كائنات مستقلة عن الرجال ومتساوية لهم وهن مع ذلك كائنات مغايرة على المستوى الجنسى يجب أن تخضع كل من النظرية والممارسة الديمقراطية لتحول جذري^(١).

– لكي نحصل على مواطنة متساوية لكل من الرجل والمرأة تحتاج النسويات إلى خلق مفردة أخرى للمواطنة يجب أن تقوم المرأة بتصحيح المفهوم والممارسة للمواطنة ليست لمعنى المساواة فحسب بل الحرية والمشاركة والسياسة والتقييم السياسى كذلك.

– المشاركة للحصول على حقوق متساوية هي أساس السعادة المتساوية مع الرجال يجب أن تكون المرأة محترمة بينهم وليست مجرد جسد مرغوب فيه ليغازل رغبتهم الجنسية، ويجب أن تكون محترمة في

(١) ريان قوت، ترجمة ابن بكر، وسحر الشبشكلي، مراجعة وتقديم فريدة النقاش
صفحة ٩٠ و صفحة ٩١.

نظر نفسها ويجب أن تبذل مزيداً من الطاقة ، ويجب أن تكون أكثر فائدة، ويجب أن تكون النساء مشاركات فعالات في المجتمع وسوف تتحقق المواطنة بالفعل عندما تزداد مشاركتهن في صناعة القرار^(١).

المراحل الأساسية للمواطنة:

تتابع متوالية في ثلاث مراحل كما يلي :

المرحلة الأولى: (مرحلة الفكرة): بدأت في المدينة الأثينية (أثينا) في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد، ولم تخرج عن إطار الفكرة، ولم تظهر شكلاً مكتملاً بل اقتصر على الجانب السياسي فقط فكان من حق جماعة أن تشارك في إطار المدينة وذلك لنخبة متميزة منها لم تتجاوز إلى الأجانب والنساء والعبيد حيث كان المجتمع عبودياً.

وتكلم كثيرون عن المواطنة وأهميتها وأوضحوا الاهتمام بأهمية ممارستها على الجانب الإنساني والأخلاقي، ولكن الأفكار لم تتحقق على أرض الواقع.

المرحلة الثانية: (مرحلة الممارسة): هي مرحلة عملية ظهر فيها التحرك على المستوى العملي القاعدي حتى تتحقق المواطنة عملياً ويطلق عليها المواطنة بالممارسة بعد أن تبلورت المواطنة فكرياً في المرحلة السابقة وبعد الجهود الفلسفية التي كان آخر نتائجها العقد الاجتماعي لجان جات رسو والذي حدد معالم المجتمع المتحد في إطار الدولة المتحضرة

(١) ريان قوت، ترجمة ابن بكر، وسحر الشبشكلي، مراجعة وتقديم فريدة النقاش

وأظهر أفرادها المواطنين المشاركون في السلطة الممارسين للمواطنة وحقوقها والملتزمين بواجباتها.

المرحلة الثالثة (مرحلة النظرية): باتساع مفهوم المواطنة بدخول طبقات وفئات جديدة في بداية القرن العشرين وهذه الطبقات الاجتماعية الجديدة القاعدية دخلت دائرة المشاركة في إدارة شئون البلاد مما شكل جوهر المواطنة الحقيقية واستكمل نظريتها المستخلصة من واقع دائرة ممارستها الشاملة لكل المواطنين وأطلق عليها (مواطنة القرن العشرين)^(١).

صور المواطنة الجديدة:

يمكن تصور أربع صور لها وهي:

- ١ - الكوزموبوليتانية: تعنى كيف ينتمى الناس اتجاهًا إزاء المواطنين الآخرين ومجتمعات الثقافات الأخرى.
- ٢ - المواطنة الأيديولوجية (الدينية): هى التى تتعلق بحق والتزامات مواطنى الأرض بالنظر إلى ديانات.
- ٣ - مواطنة الأقلية: ضمنت حقوق الدخول فى مجتمع ما والبقاء فيه ولو كانوا قلة.
- ٤ - المواطنة المتحركة: وتعنى الحقوق والمسئوليات فى أماكن وثقافات أخرى^(٢).

(١) أ/ سمير مرقص، إطلالة على مسار المواطنة التاريخي، من صفحة ١١ إلى صفحة ١٦ (باختصار).

(٢) أ/ نبيل عبد الفتاح، المواطنة والعولة، صفحة ٤٤.

صور أخرى للمواطنة:

هناك أربع صور حديثة رئيسية أخرى هي:

الأولى: الصورة الجماعية: تدل ضمناً على المشاركة والخدمة الاجتماعية من أجل المنفعة العامة فهي تشدد بقوة على المشتركات الضمنية: الثقافية والقيمة الأخلاقية التي يشترك فيها المواطنون ويجادل المناظرون بأنه من أجل الحفاظ على مجتمع ما يجب التحكم في التطبيقات العملية المؤثرة للمواطنة على المستوى الأخلاقي.

الثانية: الجمهورية المدنية: تظهر المواطنة بوصفها المشاركة السياسية، ولا يشير إلى نظام أخلاقي أساسي أو إلى تجمع أصلي، ولكنه يشير إلى فكرة مساهمة المواطنين في صنع القرار وإضفاء القيمة على كل من الحياة العامة والجدل العام.

الثالثة: الليبرالية الجديدة: هو المفهوم التحريري ويرى المواطنة بوصفها وضعية قانونية وهي في الواقع جديدة فعلاً، ولكنها تحتفظ بخيوط تربطها بالليبرالية الكلاسيكية وأنصارها ضد الرفاه الاجتماعي ومع السوق الحرة فهي ترعى المواطنين مبدئياً كمستهلكين عقلاء للبضائع العامة، كما نعتقد أن المصلحة الشخصية هي الدافع الأساسي المحرك للمواطنين.

الرابعة: الليبرالية الاجتماعية: أصبح مفهوماً عن المواطنة مسيطراً في معظم الديمقراطيات الليبرالية منذ الحرب العالمية الثانية، وهو المفهوم الذي استجابت له المرأة بصورة أساسية وطبقاً لمنظورها يجب

أن تكون المواطنة شاملة وقائمة على المساواة أى تشمل كل البالغين ضمن نطاق الدولة كما يجب أن تتضمن المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية كمقابل فى المساواة فى الواجبات، ويحصل الأفراد بمقتضاها على أكبر قدر ممكن من التحرر ليمارسوا حقوقهم وليطوروا شخصياتهم. وللمواطنة الليبرالية الاجتماعية معيار أخلاقى محدود، وهو ما يمكن أن نجده فى قوانين الجدولة وهو معيار ما تتمتع به العدالة وعدم التمييز من سمة أخلاقية^(١).

المواطنة الفعالة:

تلك صورة فعالة متفردة يلزم إيضاها فيما يلى:
إن المواطنين بالمعنى العادى للكلمة - هم أولئك الذين يأخذون دورهم فى أن يكونوا حاكمين ومحكومين ويختلف هذا الوضع من دستور لآخر، وفى الدولة المثالية هم القادرون والراغبون فى الحكم والطاعة مع الحياة الفاضلة كهدف لهم.
ولا تتألف المواطنة الكاملة من المشاركة فى صنع القرار فقط بل من احتلال الذاتية السياسية أيضاً، ومن كيفية لعب الأدوار السياسية والقدرة على التقييم السياسى^(٢).

(١) ريان قوت، ترجمة أيمن بكر وسحر الشيشكل، مراجعة وتقديم فريدة النقاش، صفحة ٣٢ وصفحة ٢٣٩.

(٢) ريان قوت، ترجمة أيمن بكر وسحر الشيشكل، مراجعة وتقديم فريدة النقاش، صفحة ٣٢ وصفحة ٢٣٩.

موضوعات المواطنة^(١):

لابد لباحث موضوع المواطنة من مواجهة الموضوعات التالية ودراستها:

أولاً: الحرية: لها مقابلات من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: المدى الذى يكون فيه الشخص حراً من القيد الاجتماعى أو القانونى فى فعل ما يمكن أن يشتهى فعله.

الوجه الثانى: تعنى من جهة أخرى استقلالاً (الوضعية الرسمية) للشخص باعتباره مستقلاً ومساوياً لغيره وليس تابعاً.

الوجه الثالث: حرية المرأة: فطالما تفعل النساء الأشياء التى يفعلها الرجال فلماذا هن غير متحررات، والمطلوب تنشيط تحررهن. فكون الإنسان امرأة لا يجب أن يحد من حريتها وذلك من مقتضيات المواطنة ومهمة تحقيق حرية النساء يشترك فيها ثلاثة: الدولة - الرجال - النساء.

الدولة: بتعزيز انضمام النساء كمواطنات متساويات مما يفيد الدولة الديمقراطية إذ سيدمج مواهب ومهارات جديدة.

الرجال: بتضامنهم مع مجموعة المواطنين المرتبطة ببعضها فيما يتصل بحريتها.

(١) ريان قوت، ترجمة أيمن بكر وسحر الشيشكلي، مراجعة وتقديم فريدة النقاش، صفحة ٩١، ١١٠، ١٣٧.

النساء : هن أصحاب المصلحة وهذه مهمتهن أنفسهن ، فعليهن أن
يجهدن أنفسهن فى استحداث ما يمكنهن من تحرير أنفسهن.
ثانياً: الحقوق: فى كل معجم للمواطنة تمنح الوضعية الرسمية
للمواطنين مدخلاً لحقوق مهمة ولكنها ليست كل الحقوق التى يفكر
المواطن فيها.

حقوق المواطنة وحقوق الإنسان:

حقوق الإنسان بقرارات دولية تكاد تسود العالم بكل دولة ومواطنيها.
أما حقوق المواطنة فتضعها دولة معينة لمواطنيها بقوة القانون فهى حقوق
قانونية محددة متجسدة يمكن المطالبة بها بقضايا فى المحكمة.

الحقوق فى مجال المواطنة الليبرالية الاجتماعية:

فكون الفرد مواطناً تمنحه المواطنة حقوقاً متساوية مع كل من عداه
من المواطنين، وأبرز هذه الحقوق التى تمنحها المواطنة ، ومن أهم
موضوعاتها ثلاثة هى:

١ - حقوق مدنية: تتمثل فى صور التعبير والتفكير والاعتقاد والحق
فى حيازة ملكية خاصة وإبرام عقود قانونية.

٢ - حقوق سياسية: تتمثل فى حق التصويت والترشيح فى
الانتخابات.

٣ - الحقوق الاجتماعية: تتمثل فى الحقوق التى تضمن الرفاهية
والأمن الاقتصاديين.

ثالثاً: المساواة الاجتماعية: تتمثل في معنيين هما ما يأتي:

المعنى الأول: المساواة في الثروة المادية: هي ليست مبدأ مطلقاً ولا معياراً صارماً ولكنها مفهوم نسبي وإن للاقتصاديات تأثيراً كبيراً في الحقوق السياسية بحيث يصعب التمييز بين القوة الاقتصادية والقوة السياسية فيؤثر موقع الشخص الاقتصادي على ممارسته لحقوقه السياسية، ويؤثر مستوى الثروة المادية على مواطنة المرأة بطريقة أخرى. فالفقر في المجتمع الرأسمالي يقلل من قيمتها، ولا يحظى المرء بالاحترام لأنه ببساطة ينقصه المال ولا يسمع صوته، ولا رأيه لأنه صوت خاسر.

المعنى الثاني: المساواة في المشاركة الاجتماعية: فإنها تؤثر على مواطنة الفرد المواطن ومستوى ونوع المشاركة الاجتماعية كلاهما مهم في هذا الخصوص. فمن خلال الممارسة الاجتماعية يتعلم الناس كل أنواع المهارات التي تنعكس فتفيد في حد كبير في ممارسة المواطنة الديمقراطية.

وجميع الحقوق السابقة لا تحتاج إلى مجرد الإثبات والتقارير بالدساتير والقوانين وإنما هي في حاجة ماسة إلى الممارسة ممن قررت لأجله هذه الحقوق من المواطنين. فإن ممارسة هذه الحقوق يمثل جزءاً حاسماً من ممارسة المواطنة التي تنبع منها هذه الحقوق، فإن لم تتم ممارستها فإنها ستظل في الدساتير والقوانين (حبراً على ورق) بل لا تساوي في القيمة الورق الذي كتبت عليه. خاصة فيما يتعلق بالمرأة التي لا تمارس حقوقها

الرسمية المقررة لها في الدساتير والقوانين بالمستوى نفسه الذي يمارسه الرجل مما يجعلنا نقول: إن المرأة بذلك ليست مواطنة مساوية للرجل بعد لأن مواطنتها ناقصة في ممارستها ولن يمكن الوصول إلى المواطنة الفعالة الكاملة والمتساوية بين الجنسين كوسيلة لزيادة احترام النساء إلا إذا حدثت ممارسة النساء بالمشاركة في صنع القرار ونجحت في القيام بهذا. وهذا هدف وغاية مرجوة تحقيقها. ويقتضينا الأمر أن نستوضح الموضوع بإلقاء الضوء عليه بأسلوب آخر فيما يلي:

المواطنة بين المفهوم والممارسة^(١):

لكي ينجلى وضع المواطنة من مفهومها النظري إلى ممارستها العملية يقتضى الأمر بيان ما تركز عليه المواطنة من قيم محورية عملية تقيمت بها لتتقلها من المفهوم النظري إلى المشاركة والممارسة الفعلية، وتتمثل هذه القيم المحورية على أربع مرتكزات هي:

أولاً: المساواة: وتنعكس على العديد من الحقوق مثل التعليم والعمل والجنسية والمعاملة المتساوية أمام القانون والقضاء.

ثانياً: الحرية: وتنعكس في العديد من الحقوق مثل حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية وحرية التنقل داخل الوطن وحرية الحديث والحوار والمناقشة مع الآخرين حول مشاكل المجتمع حاضره ومستقبله

(١) الشيخ عبد الحميد محمد علي والقس فكري رجائي، المواطنة بين المفهوم والممارسة،

وحرية تأييد أو الاحتجاج على قضية أو موقف أو سياسة ما تتعلق بالوطن في شئونه الداخلية أو الخارجية.

ثالثاً: المشاركة: تتضمن العديد من الحقوق مثل الحق في تنظيم حملات الضغط السلمي على بعض المسؤولين لتغيير السياسة أو البرنامج أو بعض القرارات، وممارسة كل أشكال الاحتجاج السلمي المنظم: كالتظاهر والإضراب حسبما ينظمها القانون، وتأسيس والاشتراك في الأحزاب السياسية أو النقابات أو الجمعيات الأهلية أو تنظيمات أخرى خاصة بخدمة المجتمع أو طائفة من أفرادها.

رابعاً: المسؤولية الاجتماعية: وتتضمن العديد من الواجبات كواجب دفع الضرائب وتأدية الخدمة العسكرية للوطن واحترام حرية وخصوصية الآخرين واحترام القانون.

وهكذا ومن كل ما سبق يتبين أن المواطنة ليست مجرد مجموعة من النصوص والمواد القانونية التي تثبت مجموعة من الحقوق لأعضاء جماعة معينة وتفرض عليهم مجموعة من الواجبات، ولكنها ممارسة نشاط داخل مجتمع ولا تتم بشكل عرضي أو مرحلي بل هي عملية تتم بشكل منظم ومتواصل وبطرق صغيرة وعديدة وبتفاصيل لا تعد. هي جزء من نسيج حياتنا اليومية.

ولذلك فالوعي بالمواطنة يعتبر نقطة البدء الأساسية في تهيئة المواطن للمواطنة مما يستوجب ويتطلب بشكل ضروري التربية على ثقافة المواطنة بكل ما تحمله من قيم وما تحتاجه من مهارات. ومن

هنا تأتي علاقة المواطنة الوثيقة والهامة بالتربية والتعليم إذا أردنا تحقيقها على وجهها الأمثل والأكمل مفهومًا وممارسة.

عوامل تنخر في مفهوم المواطنة (أعداء المواطنة)^(١):

تواجه المواطنة باعتبارها مفهومًا ناشئًا معاصرًا للدولة الحديثة مصادمات وعوائق تتعرض لمسيرتها وتنخر مفهومها مما يؤثر بالضرورة على ممارستها ويترصد أعداء المواطنة ليبرزوا هذه العوامل التالية:

١ - نمو الادعاء بأن هناك معايير تفوق في أهميتها وأولويتها معايير الدولة والقومية: وهما محتوى المواطنة. وهذه المعايير التي ينمىها الادعاء العدائي تتمثل في ضمير الفرد المواطن وتعاليم الأديان مما يصارع المواطنة ويغالبها.

٢ - العولمة والنظام العالمى الجديد: فإن وسائل الاتصالات الإلكترونية الحديثة (الكمبيوتر والإنترنت والتليفزيون والموبايل) جعلت الفواصل بين الدول سهلاً جداً وميسراً مما يكاد يجعل العالم بدولة مختلفة كأنه الدولة أو الوطن الواحد مما أثر تأثيراً بالغاً على المواطنة التي هي ارتباط بين المواطن ودولة واحدة فكيف يكون مصيرها والعالم كله كاد يكون وطناً واحداً فهل صارت المواطنة لصيقة بالعالمية، كما قد أصبح المواطن عالمياً وذلك تصوير لأعداء المواطنة.

(١) حسن أحمد، أين حوارات المواطنة؟، صفحة ١٩ وما بعدها (بتصرف).

٣ - تغيير القيم والأخلاقيات: إن من أبرز خصائص شباب المواطنين في هذا الزمان التعجيل ونفاد الصبر ولا طاقة لهم على الانتظار مدعين أنهم فيما يدعون في عصر السرعة وكل هذه الصفات خلقت في النفوس عدم الاستقرار مما زعزع الثقة في مفهوم الوطن وأضعف الارتباط به وانعكس بالتالي على المواطنة متأثرة به وبات شعار الشباب هو (ليس بينك وبين بلد نسب خير البلاد ما حملك).

والتمثل بمقولة سيدنا على كرم الله وجهه: (الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة). من أجل ذلك كان من الضروري ترسيخ مفهوم المواطنة تحصيناً لعدم زعزعتها وحرصاً على الصالح العام لدى النشء.

٤ - انتشار الفساد في دوائر السلطة وتزايد جشعها وحرص القائمين على تحقيق مآربهم الذاتية دون خدمة مصالح المواطنين مما هز مصداقية الحكام لدى الشعب كل ذلك كان ضمن العوامل التي تجتث الدعائم التي تركز عليها المواطنة.

المواطنة من منظور إسلامي

نأتي إلى خاتمة المطاف أو كما يقال إلى بيت القصيد فإن ما سبق كأنه بمثابة التحضير وتهيئة الفكر لهذا الموضوع الرئيسي والهام وإعداد الإطار الذي تحل فيه الصورة المقصودة والمطلوبة.

تعريف المواطنة في الموسوعة العربية العالمية:

المواطنة هي تعبير قومي يعنى حب الشخص وإخلاصه لوطنه. ويعرفها أحد الكتاب: بأنها مجموعة من الحقوق والواجبات يتمتع ويلتزم بها في الوقت ذاته كل طرف من أطراف هذه العلاقة. ويرى الكاتب الإسلامي فهمي هويدي أنها: تعبير عن جوهر الصلات بين دار الإسلام وبين من يقيم في هذه الدار من مسلمين وذهبيين مستأمنين^(١). وباستعراض هذه التعريفات الثلاثة نلاحظ ما يلي:

١ - أن التعريف الأول أبرز الوضع القومي لمجال متسع لوطن كبير يبادل له المواطن القومي حباً وإخلاصاً نظير تمتعه بكل ما فيه من خيرات ونعم.

(١) د. خالد عبد العزيز الشريدة، رؤية في السياسة الاجتماعية، ورقة بحث سنة ١٤٢٦

سنة ٢٠٠٥.

٢ - أما التعريف الثاني فيركز على علاقة بين طرفي المواطن والوطن يتبادلات فيها الحقوق المكفولة للمواطن مقابل الواجبات المؤداة منه.

٣ - أما التعريف الثالث فهو الذي يتجلى فيه المفهوم الإسلامى بما تضمنته من التعبير عن الوطن بدار الإسلام وبما شمله من تعميم المواطنين فتشمل المسلمين والذميّين والمستأمنين فكان أوضح ما يكون فى التعبير عن المواطنة من منظور إسلامى مما يجعلنا نختار هذا التعريف الثالث تعريفاً إسلامياً للمواطنة.

المواطنة بمفهومها الحديث والإسلام^(١):

المجتمع الإسلامى لا يناهض المواطنة إن أريد من مضمونها الانتماء للوطن - الشعب والأرض والمؤسسات - دون إلغاء حرية أو محو صفة.

أما إذا كان المصطلح أو ما وراءه أو ما لا يعلم ظاهراً أو ما كان على هوى واضعه الانقلاب على الدين أو الحق أو طمس هوية أتباعه فإنها بهذه الصفات مرفوضة لأنها إما أن تؤدى إلى علمنة المجتمع أو إعلاء طائفة - قلت أو كثرت - على الكثرة الوافرة لاتباع الدين مما يتجافى مع أبسط الأعراف.

(١) د. محمود كريمة، مقال فى جريدة صوت الأزهر، السنة الثانية، العدد ٣٨٩

٢٠٠٧/٣/٩.

والمجتمع الإسلامى مع إقراره مبدأ المساواة بين الأفراد فى الحقوق والواجبات على أساس إنسانى فى المقام الأول ومع تقريره لحرية إبداء رأى إلا إنه قيد الحقوق الفردية بشكل يضمن مصلحة الجماعة.

فالحقوق الفردية فى الإسلام ليست مطلقة. وحمل الإسلام الفرد واجبات والتزامات مادية ومعنوية تكفى لتحقيق مصلحة الجماعة وإيجاد المجتمع التعاون.

وعلى ضوء ما سلف فإن المواطنة بمعناها الصحيح - لا المزيف - لا يرفضها الإسلام ما دامت تعنى حسن وصدق الانتماء للوطن سواء ولد به أم لم يولد الوفاء بالحقوق والواجبات بما فيه المصلحة المحققة لا الموهومة والاعتزاز بالموروث الدينى والهوية والصيغة الثقافية المستمرة.

أما إذا أريد بالمواطنة محو الهوية وتنحية الدين أو ما بقى منه من أمور فردية العقيدة وشعائر تعبدية وأحوال شخصية وفقه الأسرة والمواريث. وأما ما عداه من معاملات مالية ونظام وقضاء وتشريع جنائى فلا وجود له إلا فى بطون المصنفات الفقهية وقاعات دروس المؤسسات التعليمية وإذا أريد بالمواطنة كذلك التذرع أو التقلل لإرضاء الغير لانتساح عن الدين أو للحيلولة بعدم إقامة ما يدور فى خيالات البعض من الدولة الدينية المثار من جماعة منسوبة للدين شعاراً وهى فى واقع الأمر عمل سياسى بحثت ليست مؤهلة للإنابة عن المسلمين ولا التحدث باسمهم. والمواطنة بهذا خداع وكلمة حق يراد بها باطل.

نشأة المواطنة في الإسلام^(١):

إذا كان التطور الغربي لم يعرف المواطنة إلا بعد الثورة الفرنسية بسبب التمييز في الدين بين الكاثوليك والبروتستانت وعلى أساس العرق بسبب الحروب القومية، وعلى أساس الجنس بسبب التحيز ضد النساء وعلى أساس اللون في التمييز ضد الملونين.

فإن المواطنة الكاملة في الحقوق والواجبات قد اقترنت بالإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة على عهد رسول الله ﷺ فالإنسان في الرؤية الإسلامية هو مطلق الإنسان والتكريم الإلهي لجميع بنى آدم. وقد وضعت الدولة الإسلامية المواطنة موضع الممارسة والتطبيق والتقنين في المواثيق والعهود الدستورية منذ اللحظة الأولى لقيام هذه الدولة. ففي أول دستور في المدينة المنورة وفي أول سنة هجرية نص دستور الصحيفة أو دستور المدينة على أن اليهود أمة مع المسلمين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن بينهم النصر على من حارب وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

وهكذا تأسست المواطنة في الإسلام في الدولة الإسلامية عندما جمعت الأمة أهل الديانات المختلفة والمتعددة على قدم المساواة لأول مرة في التاريخ وعندما بدأت العلاقات بين سلطة الدولة الإسلامية على عهد النبي ﷺ

(١) د. محمد عمارة، مقال السنة النبوية في المواطنة والوحدة الوطنية، مقال الأخبار

— العدد رقم ١٧٠٧ سنة ٥٥ الجمعة ١٢/١/٢٠٠٧.

بين المتدينين بالنصرانية: نصارى نجران السنة العاشرة الهجرية قررت لهم الدولة بالعهد الموثقة كامل المساواة فى حقوق المواطنة وواجباتها وكان الشعار هو: (لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم).
وقد نص العهد لنصارى نجران ولكل النصارى عبر الزمان والمكان على أن:

«لنجران وحاشيتها وساثر من ينتحل النصرانية فى أقطار الأرض جوار الله وذمة محمد رسول الله ﷺ على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم أن يحمى جانبهم ويذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياج وأن يحرس دينه وملتهم أينما كانوا بما يحفظ به النفس والخاصة.

وعندما أباح الإسلام زواج المسلم من الكتابية (اليهودية والنصرانية) أسس ذلك على شرط احترام عقيدتها الدينية احتراماً كاملاً واشتراط أنه لا بد فى الزواج من رضا أهل الزوجة الكتابية.

وبلغت آفاق المساواة فى حقوق المواطنة إلى النص فى عهد رسول الله ﷺ على مساعدة الدولة الإسلامية لأهل الكتاب عند الحاجة فى بناء دور عبادتهم وترميمها.

وفى المسائل المالية والاقتصادية كالخراج والضرائب نص فى العهد المذكور على الإنفاق عليهم عند عجزهم، ولا يحملون إلا قدر طاقتهم وقدرتهم ولا يكلفون شططاً ولا يتجاوز بهم أصحاب الخراج عن نظرائهم.

ولم تقتف الدولة الإسلامية عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وإنما شملت حتى المتدينين بالديانات الوضعية من المجوس والزرادشت والبوذيين والهندوس وغيرهم.

الواجبات مقابل الحقوق:

من مقتضيات المواطنة مقابلة الحقوق بالواجبات. فكما يتمتع المواطنون بالحقوق لابد أن يؤدوا ما عليهم من واجبات إزاء وطنهم الذي متعهم بهذه الحقوق. تلكم هي المواطنة المتوازنة المتعادلة.

وقد انطبقت تلك القاعدة على المتدينين من غير المسلمين، في ظل الدولة الإسلامية والذين أفاض عليهم عهد رسول الله ﷺ الحقوق كاملة إذ قرر لهم حماية الأنفس والدماء والأموال والأعراض وأماكن العبادة.

ومقابل ذلك وحتى يحدث التقابل والتعادل والتوازن يشترط عليهم عدم الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلا نيته، وألا يساعدوا أحداً من أهل الحرب على المسلمين بسلاح أو خيل أو رجال أو غير ذلك، وألا يكون أحد منهم عيناً لأحد من أهل الحرب على المسلمين، وألا يظهروا العدو على عورات المسلمين. فإن نقضوا عهدهم من بعد ميثاقهم فليأذنوا بحرب من الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ولن تأخذهم بهم رحمة ويكونون بذلك قد أخلوا بالمواطنة واختلت في حياتهم موازينها وتوازنها فحق عليهم العقاب والجزاء.

حق المواطنة والجزية^(١) :

يجرى التعرف الإسلامى على تسمية غير المسلمين المقيمين فى المجتمع الإسلامى بأهل الذمة (الذميّين) ، ويرى الكثير أن هذا الوصف قد بات فى حاجة إلى المراجعة. فإن معيار قسمة الناس على أساس أديانهم يلغى قيمة الوطن الذى يجب أن يظل ملكاً للجميع سواء الذين يدافعون عن العقيدة أم الذين يدافعون عن التراب.

إن غير المسلمين صاروا شركاء فى أوطان المسلمين، وإن ديار المسلمين ينبغي أن تظل ملكاً للمسلمين وغير المسلمين من غير تسلسل ولا أفضلية من أحد على أحد لأنه لا فضل لإنسان على إنسان إلا بتقواه وعمله الصالح. فغير المسلمين المقيمين فى الدولة الحديثة مواطنون فيها لهم من الحقوق بكل ما للمسلمين وعليهم من الواجبات ما على المسلمين^(٢).

وخلاصة القول أن تسمية أهل الذمة لم يعد معبراً عن الواقع الراهن لأن جميع أبناء الدولة مواطنون يستمدون حقوقهم ويتحملون واجباتهم بناء على صفة المواطنة التى ترفض التمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة.

(١) د. إدوار غالى الدمبى ، معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ، صفحة ٩١ وما بعدها.

(٢) د. محمد سليم العوا ، أصول انتظام الجنائى ، ط ٢ سنة ١٩٨٣ صفحة ٣٧ دار المعارف.

سقوط الجزية:

معنى الجزية: لفظها معرب من كلمة كزيت الفارسية ومعناها الخراج الذى يستعان به على الحرب.

تاريخها: أول من سنها كسرى أنو شروان ملك الفرس وجعلها طبقات وكذلك فرضها يونان أثينا على سكان بسواحل آسيا الصغرى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد وفرض الرومان الجزية على الأمم التى أخضعوها. وقررها النصارى على المسلمين عندما استولى الإمبراطور باسيل على حلب.

علتها: اختلف الفقهاء حول علة فرض الجزية على النحو الآتى:
ذهب فريق إلى أنها عقوبة لغير المسلمين. وذهب فريق آخر إلى أنها بدل سكنى دار الإسلام. وذهب فريق ثالث إلى أنها بدل حماية ومنعة، وهو الراجح وهو رأى الأحناف والزيدية والقاعدة المشهورة (الحماية بالجباية).

سقوطها: إذا زالت العلة وهى الحماية فلا داعى إلى الجزية، وعلى ذلك فتسقط الجزية إذا زالت أسبابها بزوال الحماية للذميين أو إذا أدوا فريضة الجهاد والدفاع عن الوطن مشاركين للمسلمين كما هو حادث الآن فى الدولة الحديثة حيث يجند المواطنون جميعاً بصرف النظر عن دينهم.

الفكر السياسى الإسلامى والمواطنة^(١):

إن الفكر السياسى الإسلامى لا يعترض على مفهوم المواطنة الحديثة، ولكنه يعطى لهذا المفهوم اتساعاً بحيث يصبح مفهومًا أكثر شمولاً. فالمواطنة الصالحة ليست حكرًا على مكان دون آخر بل إن ممارستها مطلوبة فى كل زمان ومكان فى الداخل والخارج.

ولعل أبرز من أعطى لمفهوم الوطنية المنبثقة من المواطنة اتساعه الإنسانى المصطفى ﷺ حيث قال: (ليس منا من دعا إلى عصبية)^(٢). فالإسلام تجاوز مضمون هذا الحديث من المفهوم السياسى الضيق إلى المفهوم الإنسانى الشامل الواسع.

فإن الإسلام يعطى مفهومًا إنسانيًا للمواطنة ينصهر فيه الولاء والانتماء من الجزء إلى الكل بحيث لا يتوقف امتداد الولاء أو الانتماء عند حدود العائلة أو القبيلة أو البلدة أو حتى الدولة، وإنما يتسع ليشمل كل شىء من مكان الوطن وزمانه ودون حدود لمعنى السياسة والجغرافيا مما يعرف إسلاميًا بدار الإسلام.

وهكذا سما الإسلام بالمواطنة مرتقيًا بممارستها الوطنية فوق التعددية الثقافية والتي كانت من أبرز المشكلات التى تواجه الوطنية فتحوّلت

(١) د. خالد عبد العزيز الشريدة، ضاعت المواطنة فى عالم متغير، بحث مقدم سنة ٢٠٠٥ (مرجع سابق صفحة ٨١).

(٢) رواه أبو داود فى سننه (جزء من حديث).

فى المجتمعات الإسلامية إلى ما يعرف بتلاقى الثقافات وتوافق الأفكار مما كان مواجهة رشيدة وفريدة لمشكلة التعددية.

المرأة والمواطنة فى الإسلام^(١):

المرأة جهاز روحى عجيب يلقى فى قلب الرجل أسرار القوة ومعنى الثقة فى النفس. وهى إنسان كريم وأسمى ما فيها إنسانيتها الرفيعة. وقد قضت سنة الله أن تجعل كرامتها منوطة برعاية أمانتها الخاصة، وأن تجعل سعادتها منوطة بأداء وظيفتها أماً أو زوجة أو ربة بيت، فإن كانت أماً تفى طاعتها رضوان الله تعالى وتحت أقدامها الجنة.

وإن كانت زوجة صالحة فهى أفضل زخر يستفيد المرء من دنياه بعد تقوى الله، وهى الحسننة التى يطلبها المؤمن من ربه صباح مساء ويتمناها فى دنياه وآخرته تصديقاً لقوله تعالى: ﴿رَبِّكَاءِ اِنْسَاىِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً ۝﴾^(٢)، حيث يرى بعض المفسرين أن الحسننة هى الزوجة الصالحة.

والمرأة فى منهج الإسلام هى الستر والوقاية وهى الحفظ والرعاية، وهى مع زوجها متلابسان كما صورتها الآية الكريمة أروع تصوير بقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ۝﴾^(٣) حتى يخوضا

(١) د. عبد الرحمن عميرة، رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً، المجلد الثالث، صفحة ٤١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٧.

معركة الحياة معاً ويوفقهما الله في تربية الأولاد ويقيما دعائم عشمهما على الود والمحبة.

حقوق المرأة المترتبة على المواطنة في ظل الإسلام:

أما ما يتعلق بالحقوق كما سبق أن ذكرنا فهي نوعان:

أولاً: حقوق مدنية: تشمل التصرفات المترتبة على الأهلية كالبيع والإيجار والهبة وغيرها من الحقوق العينية الأصلية والتبعية والشخصية والذهنية، وفي جميع هذه الحقوق العينية الأصلية والتبعية والشخصية والذهنية وفي جميع هذه الحقوق تتحقق للمرأة المساواة الكاملة مع الرجل فتتمتع بكل هذه الحقوق تماماً كالرجل دون أى قيد عليها ما دامت كاملة الأهلية وتسرى عليها أحكام الأهلية اكتمالاً ونقصاً وانعداماً كما تسرى على الرجل تماماً.

وفى ذلك تتميز المرأة عما تتميز به المرأة في كثير من الدول الأوروبية إذ تنتقص من أهليتها وتحرمها من حقها في كثير من التعامل وكثيراً ما تنسبها إلى زوجها حتى فى اسمها إذ يلحق اسمها باسم زوجها.

ثانياً: حقوق سياسية: كالمساواة والحرية والمشاركة فى الشؤون العامة. وسنتناول هذه الأمثلة الثلاثة بشيء من التفصيل نظراً لما يثار حولها من جدل ونقاش فى ظل الشريعة الإسلامية:

(أ) المساواة: تثار بشأنها مناقشات جدلية حول العناصر الآتية:

الأول: الميراث: حيث يدور الجدل حول تمييز الرجل عن المرأة فيه من واقع قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(١). وظاهر النص في الآية الكريمة يبرز تفاضل الرجل بقدر ضعف أخته الأنثى ولم يبدُ من الآية الحكمة من ذلك التي يظهرها تتابع الآيات الأخرى، كما سيأتى كما يظهرها الدور الذى يقوم به الرجل من الإنفاق وما يتحمله من الأعباء المالية فهو فى موضع المعطى دائماً بينما المرأة على العكس منه تماماً فهي موضع الآخذ، ومن يتلقى الإنفاق وهى المعول إن كانت زوجة أو أمّاً أو أختاً ولو كانت امرأة مقتدرة فإن مسئولية الإنفاق دائماً على الرجل.

والزوايا الأخرى التى تبرزها الآيات الأخرى وتبين المواضع التى تتميز فيها المرأة فى الميراث يظهرها الباحث المتأمل كما ظهرت فى البحث التالى:

أظهر البحث^(٢) أنه على الرغم من أن هناك أربع حالات تراث فيها المرأة نصف الرجل. فهناك ٣٠ (ثلاثون) حالة تراث المرأة أكثر منه. وعلى الرغم من أن الديانة اليهودية تحرم المرأة من الميراث ومع ذلك فلم يهاجمها أحد.

(١) سورة النساء، الآية ١١.

(٢) دراسة فى مقال دين ودنيا للعيسوى بصحيفة الميدان، الصفحة العاشرة ٢٣ من شوال سنة ١٤٢٧هـ الموافق الأربعاء ١٥ نوفمبر سنة ٢٠٠٦م. ويمكن الرجوع إلى هذه الدراسة لمعرفة الحالات الثلاثين.

فقد أجرى الدكتور صلاح سلطان أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة دراستين: الأولى: بعنوان فقه المرأة وقضية المساواة. والثانية: بعنوان ميراث المرأة وقضية المساواة.

وقدم للدراستين الدكتور محمد عمارة الذى أكد أن من بين حالات الميراث ثلاثون حالة تراث فيها المرأة أكثر من الرجل أو مثله أو تراث هى ولا يرث هو بينما ميراثها نصف الرجل لا يتعدى أربع حالات فقط. وأن التمايز فى الميراث لا تحكمه الذكورة والأنوثة بل تحكمه معايير ثلاثة هى:

١ - درجة القرابة: بين الوارث والمورث ذكرًا كان أو أنثى فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب فى الميراث.

٢ - موقع الجيل الوارث: من التتابع الزمنى للأجيال فالتى تستقبل الحياة عادة يكون نصيبها أكبر من نصيب التى تستدبر الحياة. فالبنات مثلاً تراث أكثر من الأم وكلتا البنات تراث أكثر من الأب.

٣ - إذا توفرت للمرأة كفالة قوية مؤكدة يقل نصيبها عن نصيب الرجل فى الميراث لقوة حقها فى النفقة كميزان ربانى دقيق. فإذا قلت أوجه الكفالة فإن المرأة تراث مثل الرجل كما فى حالة الإخوة مع الأخوات لأم، وقد تراث أكثر منه، وقد تراث ولا يرث نظيرها من الرجال، وإذا وضعنا حقوق المرأة التى تكسبها فى جانب وحقها فى الميراث أيًا كان فى جانب فسيبدو لنا أن المرأة بحق أحظى من الرجل كثيرًا.

القوامة: توضحها الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(١). فمن هذه الآية الكريمة تبين أن قوامة الرجال على النساء تقوم على ركنين أساسيين:

أولهما: رباني خلقى: هو اختلاف خلقه وطبيعة كل من الرجل والمرأة حيث إن الرجل مخلوق ليتحكم فى تصرفاته العقل بالحكمة ليتلاءم مع ظروف كونه رب الأسرة وراعى شئونها والقائم على مصالحها. أما المرأة فمخلوقة لتهيمن عليها العاطفة لتناسب الأمومة ولتشمل الأطفال بعطفها وحنانها، وكما تقول القاعدة الأصولية (كلٌ ميسر لما خلق له) مأخوذة من الحديث الشريف. وكما يظهر نص الآية الكريمة:

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

ثانيهما: دنيوى اكتسابى: يكتسبه الرجل من واقع تصرفاته فى حياته ودنياه فى معاشيته لزوجته وأسرته وتبرزه الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فالتزام الرجل بالإنفاق على أسرته ملبياً طلباتها قاضياً بالمال الذى يكتسبه حاجاتها يعطيه الحق فى إدارة شئونها وتدير أمورهما. حتى لو كانت المرأة غنية لا ينتقل إليها الالتزام بالإنفاق وإن اضطرت إلى الإنفاق فى حين ونظرة إلى ميسرة وحكم الاستثناء من القاعدة الواردة فى الآية الكريمة.

(١) سورة النساء، الآية ٣٤.

الحرية : الذى يهمنى من مظهر الحرية هو انطلاق المرأة بحرية إلى العمل : وهو أساساً واجب الرجل الذى يتولى الإنفاق على الأسرة، ولكنه فى ذات الوقت يثير الجدل فى حق المرأة فى العمل باعتبارها نصف المجتمع وإهمالها إهمال لطاقة تعطل هذا النصف فى المجتمع مما يضر بإنتاجيته ويؤثر على تقدمه وتحضره.

ومن المسلم به فى فقه الشريعة الإسلامية أن مجال العمل الذى يخص النساء مباح للمرأة لتعليم البنات ومعالجة المريضات وتوليد أولات الأحمال كل هذا وأمثاله لا سبيل إلى إثارة المناقشة والجدال فيه. كما أن عمل المرأة وهى فى بيتها لا اعتراض عليه من أحد بل تزكيه الشريعة الإسلامية. فقد ورد فى الأخبار أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها رأت أثر الغزل فى يد امرأة فقالت أبشرى بما لك عند الله عز وجل لو رأيت بعض ما أعد لكن معاشر النساء لما أقررت ليلاً ولا نهاراً. وعلقت على ذلك بقولها المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهدين فى سبيل الله.

وتبين السيدة عائشة فضل مكث المرأة فى بيتها واهتمامها بشئون زوجها فتجيب عندما تسأل عن أفضل النساء بأنها (التي لا تعرف عيب المقال ولا تهتدى لمكر الرجال فارغة القلب إلا من الزينة لبعْلِها والبقاء فى الصيانة على أهلها)^(١).

أما عمل المرأة فى الوظائف العامة : (غير مكثها فى البيت أو عملها فيما يخص النساء) فهو مثار الجدل والنقاش وبالتالى الخلاف على النحو الآتى :

(١) د. عبد الرحمن عميرة، رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً، المجلد الثالث صفحة ١١.

فمن الفقهاء من يرى اقتصار عمل المرأة على ما يناسبها من عمل فيما يخص النساء ومكثها في البيت استناداً إلى نص الآية الكريمة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(١).

وفريق آخر يرى أنه لا مانع من خروجها للعمل إذا كانت ستخرج غير متبرجة استناداً إلى الفقرة التالية من الآية في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فمفهوم هذه الفقرة أن القيد على الخروج هو التبرج فإذا انتفى التبرج استباح الخروج.

ومن الفقهاء من قيد عمل المرأة بالضرورة الملجئة إليه كفقد العائل وعدم وجود من يصرف على الأسرة إلا المرأة.

وكذلك أباح البعض عمل المرأة معاونة لزوجها في عمله بموافقته في أعمال الزراعة أو الحرف أو الصناعة التي لا ترهق المرأة.

المشاركة في الشؤون العامة (السياسية):

من مقتضيات الدولة الحديثة وباعتبار المرأة نصف المجتمع يتطلب الأمر مشاركتها في الحياة السياسية كالإدلاء بصوتها في الانتخابات في المجالس المختلفة (النيابية والشعبية والنقابية والجمعيات الأهلية والشركات والهيئات)، وذلك حتى لا يفقد المجتمع عنصراً مهماً من عناصر المواطنين وذلك من أهم حقوق المواطنة الذي أعتقد أن الشريعة

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

الإسلامية في روحها ومفهومها الشامل لا تعارضه ما دام يتم في إطار من الآداب العامة والاحتشام وعدم التبرج.

أسباب ضرورة العمل للمرأة بصفة عامة:

- ١ - توسيع أفق المرأة وتنمية شخصيتها.
- ٢ - مساعدة من يعولها أو إعانة نفسها وأطفالها عند فقد العائل؟
- ٣ - النهوض بالمجتمع فلا يمكن تحقيق تقدمه ونصفه (المرأة) عاطل.

الإشكاليات التي تعوق كامل تحرر المرأة: (حرية المرأة):

- ١ - التراث الأموي الذكوري الذي لا يزال يهيمن على حركة تحرير المرأة حيث كان الأمويون ينحازون نحو الذكور، وشيوع المفاهيم الخاطئة التي تركز التمييز على أساس الجنس.
- ٢ - انتشار دعوات عودة المرأة إلى المنزل والتي تجد لها قبولاً في دوائر كثيرة من المجتمع بعد تدعيمها بنصوص دينية.
- ٣ - ما زال الموروث الشعبي يؤثر في سلوك المرأة والرجل على السواء وتساعد الثقافة السائدة على قبوله كذلك نمطية دور المرأة بالتركيز على الجمال والأنوثة^(١).

(١) المصرية كمواطنة - سلسلة إصدارات منتدى حوارات الثقافات، عدد ٢٢ صفحة

معوقات قيام المرأة بحقوقها السياسى^(١): (المشاركة السياسية)

إن مشاركة المرأة فى الحياة السياسية ضعيفة ولا تتناسب مع النسبة العددية للمرأة فى المجتمع ولا مع ما أعطته لها المواطنة من حقوق فى ظل الشريعة الإسلامية ويرجع ذلك إلى المعوقات الآتية:

١ - عدم استقلالية المرأة استقلالاً كاملاً، فهى فى الحقيقة كيان تابع للرجل، ويعتبر مسئولاً عنها حتى وإن كان أقل منها مستوى وثقافة.

٢ - انصراف المرأة عن العمل مما جعل نسبة البطالة تتزايد بين النساء.

٣ - الفهم الخاطى^٢ للدين وعدم التعمق فى دراسته مما كان داعياً للمعوقين السابقين من جهة ومما أدى إلى تقليص دور المرأة استناداً إلى الرأى الفاسد الذى يعتبرها عورة يجب مواراتها.

٤ - ارتفاع نسبة الأمية والجهل بين أفراد المواطنين عامة وبين النساء خاصة وبحكم انعزالهم بصفة خاصة مما أدى إلى عدم إدراك المرأة لدورها وتزايد ضعفها واستكانتها وعدم مطالبتها بحقوقها والتمسك بها.

٥ - الثقافة السائدة فى المجتمع والتى تحجم دور المرأة، فالعادات والتقاليد تفرض عليها أن تبقى فى الظل.

(١) المصرية كمواطنة - سلسلة إصدارات منتدى حوارات الثقافات، عدد ٢٢ صفحة

- ٦ - غياب الرسالة الإعلامية البناءة أو تقصيرها البالغ.
- ٧ - غياب التنشئة السياسية للمرأة والرجل على السواء في مجالات التربية البيت والمدرسة والعمل ودور العبادة.
- ٨ - الخطاب التنويرى للمرأة لا يخاطب إلا النخبة ولا يصل إلى القاعدة.

- ٩ - سلبية المرأة وخضوعها واستسلامها للأعراف والتقاليد.
- ١٠ - إن صياغة القوانين التي صدرت لصالح المرأة لا تمكنها من القيام بدورها، وإن العبرة بالتنفيذ وليس بتبني النصوص وإلا تحولت حبراً على ورق.

كيفية مواجهة المعوقات:

- ١ - تيسير مشاركة المرأة في الحياة السياسية بتسهيل حصولها على الرقم القومى لإثبات شخصيتها عند الإدلاء بصوتها مع تخصيص لجان للمرأة لا يزاحمها فيها الرجال عند التصويت وتخصيص عدد من المقاعد في قائمة المرشحين للمرأة حتى يكون ذلك ضماناً لتمثيلها في المجالس النيابية.

- ٢ - إتاحة الفرص لتشغيل المرأة فيما يناسبها من عمل كوظائف التدريس بمدارس البنات والتمريض وعلاج النساء بعد إعدادهن لكل هذه الوظائف وذلك حتى تتمكن المرأة من الاستقلال وتتمتع بالانفرادية بذاتها.

٣ - تصحيح المفاهيم الدينية بتجديد الخطاب الدينى لدى الدعاة وتوصيل ذلك إلى النساء فى القواعد الشعبية، وتغيير أساليب الإعلام بكل أجهزته لىخدم قضية مواطنة المرأة ونشر الثقافة بين عنصر النساء بما يعدهن إعداداً سياسياً صحيحاً.

٤ - العمل على إدخال التربية السياسية بالقدر المتلائم فى مناهج الدراسة وتدریس ربطها بالدين فى المساجد فى ندوات ودروس خاصة بالسيدات للوصول بالمرأة إلى المستوى المناسب فى الوعى السياسى.

٥ - مناقشة التقاليد والموروثات مناقشة موضوعية فى ضوء الفكر الدينى المستنير وفى ضوء المتغيرات المعاصرة مع إبراز ما فى التقاليد من فضائل وما تتضمنه من مساوئ.

٦ - تفعيل دور مؤسسات المجامع الأهلية (الجمعيات والنقابات) لأداء دورها على الوجه الأكمل وبكل حریتة.

٧ - وضع خطة زمنية متأنية يتم وفقها معالجة جميع المعوقات دون تسرع.

عائد المواطنة «صمام أمان»^(١)

أن منطقة الشرق الأوسط تضم أوطاناً عربية وإسلامية تمزقها صراعات طائفية ومذهبية وتدمرها جرائم ومجازر يرفع أصحابها زوراً وتضليلاً شعارات دينية ولم تعد المصادمات تقتصر على أطراف مسيحية وإسلامية، وإنما على الشيعة والسنة ومشاحنات قومية وعرقية بين تركمان وأكراد، وقد تنفجر بين أكراد وعرب وتتصدع دول وتتساقط وتنهار كيانات وتتفتح أبواب النيران عندما يتقاتل أبناء الوطن الواحد. ومن هنا كانت أهمية التأكيد على مفهوم المواطنة وقيمتها ومبادئها فالكل أبناء، والكل متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات ولا تفرق بينهم عقيدة ولا دين ولم تعرف المنطقة عبر التاريخ انقساماً دينياً أو طائفيّاً إذ كانت تحت ظلال المواطنة ولو عادت كما كانت في السابق لوجدت المخرج مما فيه.

المواطنة هي الحل:

ذلك لأن ممارسة المواطنة ومباشرتها وفق مبادئها وقواعدها وأصولها هي الحل لكل قضايا دول الشرق الأوسط، سواء العربية

(١) نبيل زكي، صمام الأمان حق المواطنة، جريدة الأخبار، صفحة ١٧ في ٢٠٠٧/٢/١

منها أم إسلامية، ولا نبالغ إذا قلنا إنها الحق لقضايا حتى الدول الإسلامية في شتى أرجاء العالم على رغم تباعدها واختلاف حدودها وتنوع لغاتها.

إن المواطنة هي علاج الفرقية بين الصراغات الدائرة في العراق بين الشيعة والسنة من جهة، وبين العراقيين والأكراد من جهة أخرى، وبين ما يتوقع من تطلعات الإيرانيين في العراقيين ونتائج هذه التوقعات. ذلك أن المواطنة بممارستها الإسلامية ستجعل الجميع يلتفون حول دينهم الإسلامي وتحت زعامة رسولهم ﷺ يعتصمون بحبل الله جميعاً استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (١).

وكذلك الأمر في فلسطين فإن المواطنة هي علاج التصدعات التي حدثت بين فرقاء الكفاح وإخوان الجهاد. فقد استطاع العدو الصهيوني الماكر الغادر أن يمزق شمل كتائب المقاومة وبدلاً من أن كان هدفها وجهادها موجهاً إلى العدو، اختلفوا على أنفسهم بل ساعدوا العدو في الغدر بقياداتهم واغتيالهم.

ولو أنهم مارسوا المواطنة وباشروها لوجدوا كلمتهم حماية لوطنهم فلسطين كجزء هام من أمتهم الإسلامية بها المسجد الأقصى ثالث المساجد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

الحرم والذي يراد به الغدر من الصهاينة ويدبر له الهدم والتدمير
لو أنهم تذكروا أخوتهم الإسلامية في ظل زعامة نبيهم ﷺ لنجحت
مقاومتهم وحققوا أهدافهم مع الصبر والكفاح كمعونات للمواطنة.

وفي مصر قلب العروبة النابض وموطن الأزهر الشريف ومنازة
العالم الإسلامي تحاك المؤامرات الطائفية للإيقاع بين عنصري الوطن
المسلمين والمسيحيين الذين تعايشوا في ظلال المواطنة الوارفة من عهد
عمرو بن العاص بدخول الإسلام طواعية وتسامحاً مع العنصر المسيحي
الآخر بزعامة المقوقس وتجانس العنصران في مودة وحب حتى ظهرت
هذه الأيام فئة تسمى مجموعة المهجر التي تناوىء الأوضاع في مصر من
خارجها من الولايات المتحدة مدعية انتقاص حقوق للإخوة المسيحيين
بشيء من المغالطة مما أثار كثيراً من الجدل والمناقشة.

ثم اقترح ضمن مشروع تعديل الدستور إدخال المواطنة بديلاً لتحالف
القوى العاملة ومتنافراً مع الدين حيث يرفض دخول الدين في السياسة،
وهنا مجال الملاحظة والنقاش. فما وجد الدين إلا لإصلاح شئون الحياة
والتربية الدينية أيا كانت إسلامية أو غير إسلامية مطلوبة للتنشئة بل هي
أساس من الأسس التي تقوم عليه المواطنة ولا تتعارض معها فالإيمان ضرورة
من ضرورات الحياة وبغيره لا تستقيم ولا تصلح كما قال الشاعر^(١):

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحى ديناً
ومن رام الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

(١) الشاعر هو محمد إقبال من باكستان من قصيدة مترجمة.

إن ممارسة المواطنة بالأسلوب الصحيح ستكون حلاً ووقاية من كل مشاكل مصر ولن تسمح لظهور أى فئة طائفية أو غيرها ولنضرب مثلاً لبلد ووطن إسلامى هو أفغانستان فقد ظهرت فيه اتجاهات إسلامية لم ترق الغرب . فوصمه بالإرهاب وهى دعوة طالبان واستمرت مقاومة هذه المجموعة بجنود يمثلون عدداً من الدول الغربية على رأسها الولايات المتحدة.

ولو أنهم تركوا ممارسة المواطنة تأخذ طريقها لما احتاجوا إلى هذه السنوات العديدة من الصراع فإن صلاحية المواطنة لمواجهة مواقف المواطنين هى تحقيق الديمقراطية الحديثة التى تنادى بها هذه الدول المتدخلة فى الصراع بلا نهاية ولا نتيجة.

النتائج المستخلصة

أولاً: فى مجال الوطن:

- ١ - ترجع أهميته إلى أنه البداية التى يبدأ المواطن العيش فيها ، وفيه يولد وفى بيئته يتربى ، وأن فطرته التى فطر عليها لتتأثر أول ما تتأثر بموطنه وسكنه ومحل إقامته الأول.
- ٢ - كما يستفاد من الوطن فى اتخاذه عنواناً للمواطن تصل عليه مراسلاته ويستقر فيه بأسرته راعياً لزوجته وأولاده فهو عشه الذى يلقى عنايته وتحتاج إلى بذل اهتمامه.
- ٣ - إن الحب الصادق المخلص النابع من الفطرة والقلب إنما يتجه بطبيعة الحال إلى الوطن محل الإقامة ومستقر العائلة.
- ٤ - يتجلى الشوق ويظهر الحنان عند أى مفارقة للموطن. فعند الانتقال بعيداً عن الوطن يشعر بالحنين والشوق إلى مكان نشأته ومستقر حياته.
- ٥ - لن يتعارض كل ما سبق مع الشريعة الإسلامية بل على العكس من ذلك فإن الإسلام يزكى العواطف النبيلة ويبارك الشعور الطيب.
- ٦ - إن وجود المواطن فى الوطن يمكنه إسلامياً من القيام بواجباته الإسلامية ، حسبما وردت فى كتاب الله وفصلتها سنة رسول الله ﷺ ، وذلك على النحو الآتى:

(أ) بر الوالدين وصلة الرحم: كيف يتم ذلك لو لم يكن الإنسان في موطنه. ففي هذا الوطن يكون المواطن ملاصقاً لأبويه أو قريباً جداً منهما فيتمكن في سهولة ويسر من البر بهما إعمالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١).

(ب) الوفاء بحق الأقارب: كما يستطيع المواطن أن يفي بحق الأقارب لقربهم من محل إقامتهم تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٢) فإن المواطن سيؤتي حق القريب الذي يحل قريباً من محله وموطنه ويراه ويشعر بحالته ويتعرف إلى احتياجاته محققاً بذلك من جهة أخرى صلة الرحم.

(ج) حق الجار: كما أن وجود المواطن في الوطن يضعه في تجاور من آخرين وهم الجيران: الجار ذي القربى والجار الجنب مما يفرض عليه حق الجوار امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾^(٣).

٧ - إن المواطن ليعضد الروابط إذ يضيف إلى رابطة الدين ورابطة الرحم ورابطة الجوار رابطة التألف بالإقامة في بقعة من الأرض والاستغلال بسماء واحدة والتعايش بأسلوب واحد في الحياة وكل هذه الروابط تقوى وتدعم المواطنة.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

ثانياً: فى مجال المواطنة:

١ - تتسع دائرة الوطن لتتسع معها دائرة الانتماء من كل مواطن. فيصبح ولاؤه وانتماؤه، يتسع فيشمل مدى وطنه أرضاً وسماً وبرا وبحراً وفضاء ويفخر بهويته.

٢ - يدافع عنه ضد من يحاول الاعتداء عليه بأية صورة من صور الاعتداء فى حالة الحرب، ويتغنى باسمه فى الأناشيد صغيراً وفى المناسبات كبسيراً ويحيى رمزه فى العلم ويهتف باسمه فى طوابير المدارس والمعسكرات والتدريبات.

٣ - ينتقد البعض تحية العلم ويعتبرها نوعاً من الوثنية وإن كانت بعد التأمل فيها تحمل رمز الوطنية، وتعتبر تعبيراً عنها. إذ ليس هناك عند من يرد على من يدعى أنها وثنية غير تلك الوسيلة للتعبير عن الوطنية والولاء وغرس ذلك فى نفوس النشء.

٤ - من منظور إسلامى فإن دائرة الوطن فى وضعها الحالى لا تتفق مع الإسلام وإنما هى تمثل أوطاناً متفرقة تفصلها حدود وتباعدها المسافات وتختلف داخلها نظم الحكم: فمنها ما لا يطبق أحكام الشريعة، ومنها ما يطبق جوانب منها، ومنها ما يضع مادة فى الدستور بأن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع. ولكن الواقع التشريعى لا يطابق هذه المادة إذ إن بعض التشريعات تتعارض مع الشريعة الإسلامية وهى باقية دون عرض على الشريعة، وبالتالى عدم تعديلها. ومن هذه الأوطان من يقاوم الشريعة الإسلامية ويعارضها.

٥ - إن واقع الوطن الإسلامي الحال هو الذي يمكن أعداءه أن يكيدوا له ويبثوا بذور الفتن والتفرقة بين مواطنيه ، مما يجعله يعاني من التمزق والتشتت والتفرق. ومنعاً لهذا التدخل الخبيث الماكر من الأعداء لابد من الاعتصام بحبل الله جميعاً ولا بد من التنبه لما يدبره هؤلاء الأعداء وما يستغلونه من فرص وما يستخدمونه من وسائل حتى نفسد عليهم تدبيرهم ونبطل مكرهم. ولا بد للمسلمين أن يعودوا إلى التمسك بما جاء بكتاب الله وما شملته سنة رسول الله ﷺ والعمل بمنهج الله الذي ورد بهما فلن يصلح حاضر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

٦ - لكي يتحقق الوطن الإسلامي وهو ما يعرف بدار الإسلام لابد أن تزال هذه الفوارق المادية من حواجز حدودية وموانع مسافية ولا بد أن تنمحى الخلافات الجوهرية في تطبيق شريعة الله ، وأن تسود جميع هذه الأوطان جميعاً حتى تحقق صالح البشرية في العالم كله تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧).

٧ - في إطار الوطن الإسلامي (دار الإسلام) تتحقق المواطنة بمنظور إسلامي ، ويمكن عندئذ أن تؤتي ثمارها عند ممارستها.

ثالثاً: في مجال المواطن:

١ - أما خلاصة ما جاء بالكتاب عن المواطن فإنه الإنسان وهو موضع الارتكاز في هذا البحث كما يقولون هو قطب الرchy الذي يدور حوله

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٠٧.

لأنه هو الذى يقيم فى الوطن كمحل للإقامة الذى هو جزء من الوطن، كما أنه هو الذى يمارس المواطنة فى موطنه ووطنه، ويباشر الحقوق المخولة له ويؤدى الواجبات المفروضة عليه.

٢ - فى منطق الدولة الحديثة المواطنة للشخص الطبيعى والاعتبارى الذى يتجنس بجنسية الدولة ويكون من رعاياها ويحمل لقبها، ويدافع عن ترابها ويحىي علمها ويهتف باسمها فى المواسم والأعياد الرسمية.

٣ - إن هذا المواطن فى ظل الدولة الحديثة، وتحت رعاية السلطات الثلاث: السلطة التشريعية التى تسن القوانين والتشريعات. والسلطة التنفيذية التى تنفذ هذه التشريعات والقوانين بإصدار اللوائح التنفيذية والقرارات. والسلطة القضائية التى تطبق هذه القوانين فى المحاكم القضائية وتراقب اللوائح والقرارات فى مجلس الدولة، وما يشرف عليه من محاكم إدارية تحت هذه السلطات واختصاصاتها ويتمتع بالحقوق المتنوعة:

(أ) الحقوق السياسية التى تمكنه من المشاركة فى الحياة السياسية بحق التصويت فى الانتخابات فى المجالس النيابية والشعبية ومجالس إدارات النقابات والجمعيات الأهلية والشركات والاتحادات بأنواعها.

(ب) الحقوق المدنية: التى يتسع نطاقها إلى أنواع أخرى متفرعة منها: مالية: تقوم بالمال وتمكن المواطن من التعامل فيها والتصرف، ومن أمثلتها حق الملكية وحق الانتفاع.

وغير المالية: لا تقوم بالمال كالحقوق الأسرية (ولاية الأب والوكالة).
(ج) الحقوق العينية والشخصية والذهنية: فالعينية: منها الأصلية كحق الملكية والسكن والحكر والارتفاق، ومنها التبعية كالرهن الحيازي والرسمى الاختصاص أو الامتياز. الشخصية: الرابطة بين الدائن والمدين للقيام بعمل أو الامتناع عنه. الذهنية: كحق المؤلف على مؤلفه والمخترع على براءة اختراعه، وهناك حقوق أخرى كفلها القانون للمواطن أمام الشرطة والنيابة العامة والقضاء. ويمكن إيجازها فيما يلي:

○ في مواجهة الشرطة: هناك إجراءات تمس حرية المواطن وتقيّد حقوقه في هذا المجال، ولذلك تحرص القوانين على تنظيمها بما يحمي المواطن ويحافظ على حريته وحقوقه، وفي ذات الوقت بما يمكن الشرطة من أداء واجبها ووظيفتها في حفظ الأمن وحماية باقي المواطنين. فكأن هذه الإجراءات التي أوردها القانون أحدثت التوازن بين حق المواطن والمحافظة على حريته في ذات الوقت وحماية باقي المواطنين، وهذه الإجراءات نوجزها فيما يلي:

○ الاستيقاف: ما يستتبعه من اقتياد إلى قسم الشرطة. ولا يجوز إلا بشبهة أو ريبة ظاهرة.

○ القبض: هو إجراء خطر على الحرية لأنه قيد عليها ولا يجوز إلا من مأموري الضبط القضائي وكانت الجريمة مما يجوز القبض فيها.

- التعرض المادي: هو وسيلة للحيلولة دون فرار المواطن في حالة التلبس في جريمة لتسليمه إلى السلطة المختصة بالتحقيق، وعندئذ

يكفل هذا الحق حق المواطن الآخر العادى فضلاً عن رجل الشرطة بصرف النظر عن الضبطية القضائية لأنه إجراء تقتضيه الضرورة وحتى لا يفلت مجرم من العدالة.

○ التفتيش: فى جميع أحواله: تفتيش المتهم المواطن أو مسكنه وملحقاته من حق من له صفة الضبطية القضائية. فإذا كانت المواطنة أنثى فلا يتجاوز تفتيش شخصها إلا المباح من جسمها فى إطار (الوجه والكفين والقدمين) وإلا كان التفتيش فيما جاوز ذلك لامرأة تندب لذلك. وتفتيش شخص آخر غير المواطن المتهم لا يجوز إلا إذا كان فى المسكن الذى به المواطن المتهم وقامت قرائن قوية على إخفائه ما يكشف الحقيقة أو بدا عليه الارتباك وتفتيش المسافرين إلى الخارج أو القادمين فى المناطق الجمركية يعتبر إدارياً لا قضائياً يقوم به موظفون عموميون، ومن فى حكمهم فإذا أسفر عن جريمة فى حالة تلبس صح التفتيش، وكذلك تفتيش العمال وزوار المصانع عند البوابات صحيح ويرجع إلى إرضاء المواطنين وقبولهم ووفق نظام موضوع فإذا أسفر عن حالة تلبس اعتبر صحيحاً.

○ أما النيابة العامة: فيحق لها استجواب المواطن المتهم فإذا تبين لها عدم وجود أدلة كافية لإدانته أفرجت عنه بدون كفالة أو علقت الإفراج على دفع كفالة يقدرها وكيل النيابة فى أمر الإفراج ويدفع فى خزانة المحكمة كضمان التزام المواطن المتهم بالحضور وقيامه بالواجبات الأخرى. وقد تأمر بحبسه احتياطياً - وإن

كان القانون قد عُدل فيما يتعلق بجريمة النشر - كما لا يوجد في القانون حبس مطلق. وخلال مدة الحبس إما أن يصدر الأمر بالإفراج بكفالة أو بدون حتى يستوفى التحقيق، وإما أن ترى النيابة أن التهمة غير صحيحة أو أن الفعل لا يعاقب عليه القانون أو أن أدلة الجريمة غير كافية فتصدر أمرها بالإفراج بكفالة أو بدون وإن كانت وجدت جريمة من أي نوع فإنها تأمر برفع الدعوى إلى المحكمة المختصة.

○ حضور المحامي: لا مانع منه أثناء تحرير محضر الأحوال أمام مأمور الضبط القضائي وإن كان القانون لا يلزمه بهذا الحضور وإذا منعه لا يكون المحضر باطلاً. أما إذا كان التحقيق بقاء على ندب من النيابة العامة أو أمامها فلا يمكن منع المحامي من الحضور.

○ حقوق المواطن أمام القضاء: من حق المواطن أن يرفع قضية أو يتابعها أمام المحاكم حسب تدرجها واختصاصها كالاتي:
المحكمة الجزئية: من قاض واحد، وتنظر المخالفات والجنح كدرجة أولى.

○ محكمة الجench والمخالفات المستأنفة: من ثلاثة مستشارين وتنظر الجنايات والجنح التي تقع في دائرتها.

○ محكمة الأحداث: توجد دائرة في كل محافظة من قاض واحد ويعاونه خبيران من المتخصصين: أحدهما على الأقل من النساء وتنظر الجرائم التي يرتكبها الحدث أيًا كان نوعها.

○ محكمة النقض: مقرها عاصمة الجمهورية (القاهرة)، وتشكل من عدة دوائر لنظر القضايا الجنائية والمدنية والتجارية والعالية والأحوال الشخصية وتصدر أحكامها من خمسة مستشارين، وتقتصر وظيفتها على مراقبة تطبيق القانون وتفسيره وسلامة إجراءات الدعوى وتنظر الطعون في أحكام محكمة الجنايات أو الجنح المستأنفة غير المخالفات.

○ المحكمة الدستورية العليا: مقرها العاصمة (القاهرة) وتختص بالرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح، والفصل في تنازع الاختصاص وتفسير نصوص القوانين وتصدر أحكامها من سبعة مستشارين.

حق المواطن المتهم بعد الحكم:

١ - المعارضة في الحكم: إذا صدر غيابياً من محكمة الجنح والمخالفات المستأنفة ويترتب عليها وقف تنفيذ الحكم الأول حتى يصدر الحكم في المعارضة.

٢ - الاستئناف: أمام محكمة الجنح والمخالفات ويوقف التنفيذ إلا في الأحكام واجبة النفاذ كالحكم على المتهم العائد (التائب).

٣ - النقض: في الأحكام الصادرة في محاكم الجنايات والجنح المستأنفة ولا يجوز في المخالفات، ولا في الجنح التي لم يطعن فيها بالاستئناف.

٤ - طرق أخرى: طلب إعادة نظر: لا يجوز إلا في الأحكام الصادرة بالعقوبة دون الصادرة بالبراءة في الجنايات والجنح فقط.

إشكالات التنفيذ: هي تنشأ عند تنفيذ الحكم بسبب غموضه أو ظهور بطلانه أو انعدامه ويقدم من المحكوم عليه إلى محكمة الجنايات وجميع القضايا المرفوعة في الطعن - ولا يجوز أن يضار المواطن الطاعن بمعنى أنه لا يجوز الحكم في الطعن بالتشديد وإنما بالتخفيف أو الإبقاء أو الإلغاء. وقبل أن ننساق في موضوعات النتائج الباقية بالنسبة للمواطن فإنه يجب أن نتوقف هنا لنعرض في النتائج المنظور الإسلامي لتعريف المواطن بحقوقه ثم نتابع باقي الموضوعات:

المواطن وحقوقه من منظور إسلامي:

تعريف المواطن إسلامياً: المواطن في الإسلام هو الإنسان المكرم المستخلف في الأرض والحامل للأمانة والذي يستوطن دار الإسلام في أي مكان في العالم كله. فشمولية الإسلام وعمومية رسالته واتساع نطاق شرعيتها تمتد لتحتوي المسلمين بل وغير المسلمين في أرض الله الواسعة. وذلك مفهوم الآية الكريمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) (١).

وإن الوضع القائم لا يتناسب ولا يتفق مع ما يتطلبه الإسلام حيث تقوم الحدود والموانع بين الدول والدويلات بما يشقت المواطنين ويفرق جمعهم وكل دولة تحتوي على مواطنين يدينون لها بالانتماء والولاء.

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

بينما كان يتطلب وضع الشريعة الإسلامية أن يكون الانتماء أصلاً للأمة الإسلامية والولاء حقيقة لدار الإسلام مهما ترامت واتسعت حتى تحقق للمواطن الإنسان الكرامة والاستخلاف ويكون جديراً بحمل أمانة التي ارتضى أن يحملها بعد أن أبت السماوات والأرض والجبال ، يحملنها وأشفقن منها.

حقوق الإنسان المواطن في دار الإسلام:

- ١ - بداية يلزم التأكيد على أن ما تقرره القوانين والدساتير في الدول حديثة لا يمكن رفضه كله وإنما يعرض على قواعد الشريعة الإسلامية . ما تقره ويتلاءم مع أصولها الفقهية يكون متقبلاً ويمكن الأخذ به وتطبيقه شيئاً مع مبدأ المعاصرة أي ملاءمة الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.
- ٢ - من جهة أخرى يلزم الإيضاح مقدماً كذلك بأن الحقوق التي نورت للإنسان المواطن في الشريعة الإسلامية تقررت له باعتباره إنساناً وليس باعتباره مسلماً فقط. وبمعنى آخر فإن هذه الحقوق هي مقررّة للمسلمين وغير المسلمين الذين يعيشون معهم في دار الإسلام يستوطنون هذه الدار وفقاً للقاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا). ما لم يصدر منهم ما يخل بمسالة المسلمين من غدر أو خيانة أو معاونة لأعداء المسلمين أو ما لم يظهر منهم العداء والمناوأة للمسلمين. وكذلك يلزم إبراز تساوى عنصرى المجتمع المواطنين من الرجال والنساء في هذه الحقوق إلا ما فضل الله بعضهم (الرجال) على بعض (النساء) للحكمة في الخلق والطبيعة البشرية أو بإنفاق الرجال من أموالهم.

الحقوق المتقابلة بالواجبات:

بعد كل ما سبق نستعرض الحقوق المتقابلة بالواجبات فيما يلي
بإيجاز:

الحق الأول: حق الحياة: حفاظاً عليها وحماية لها حتى من نفس
المواطن.

والواجب: هو التزام المواطن الإنسان بالمحافظة على حياته وصرفها
في طاعة الله عبادة وعمالاً صالحاً في وجوه الخير.

الحق الثاني: حق الحرية: فلا تكون العبودية إلا لله وتكون الحرية
للمواطن بكل صورها كحرية العقيدة وحرية الرأي وحرية التفكير
محدودة بما لا يضر الغير وبالأداب العامة.

والواجب الالتزام بحدود الحرية وعدم تجاوزها حتى لا تكون
فوضى.

الحق الثالث: حق العلم: من المهد إلى اللحد.

والواجب: أن يكون علماً نافعاً للمواطن ولدار الإسلام وألا يكتم عن
طالبه وألا يشتري به ثمناً قليلاً وأن يطلب من أهله.

الحق الرابع: حق التملك: نتيجة تسخير الله ما في الكون للإنسان
المواطن فله حق التملك في الحدود المشروعة والمفصلة بالشريعة
الإسلامية.

الواجب: أن يكون التملك بالأساليب التي أحلها الله وأن تستخدم
فيما أحل الله.

حقوق أخرى، شملها التكافل بأنواعه الآتية:

التكافل بين المواطن وذاته، وبينه وبين ذوى قرباه، وتكافل جماعة المواطنين إزاء نفسها، والتكافل بين المواطن والجماعة، وتكافل المجتمع الإسلامى مع نفسه.

أما صور التكافل: فتتمثل فيما يلى: زيارة المريض، إطعام الجائع، وصلاة الجمع والجماعة، والإنابة فى الحج، والتضامن مع الموتى.

وهناك ألوان أخرى من التكافل: هى التكافل الأدبى، والسياسى والدفاعى والجنائى والأخلاقى والاقتصادى والعبادى والعلمى والحضارى والعائلى والمعيشى، ونوع يتميز بالعجز عن الكسب كلياً أو جزئياً على النحو السابق تفصيله لكل لون.

موارد التكافل: الزكاة كفريضة، وزكاة الفطر، والكفارات والركاز والغنائم والوقف الخيرى والتبرع فى أوجه الخير والنفور والأضاحى والكفاية والخزانة العامة حسبما سبق إيضاحه.

مجتمع مواطنى دار الإسلام:

منذ تكوين الدولة الإسلامية ونشأتها فى السنة الأولى من الهجرة صدر منذ أكثر من أربعة عشر قرناً أول دستور للمواطنين هو دستور المدينة. والذى سوى بين المسلمين وغير المسلمين فى الحقوق والواجبات ثم جاء التطبيق العملى فى السنة العاشرة من الهجرة على نصارى

نجران، وتتابعته بعده التطبيقات في عهد سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني ومن بعده خلفاء بني أمية والخلفاء العباسيون.

في الأمثلة السابق ذكرها وفي هذا المستخلص الختامي نستعرض مقومات مجتمع المواطنين الإسلامي ومن بعد ذلك خصائص هذا المجتمع الإسلامي. وأخيراً سمات الأمة الإسلامية باعتبارها وعاء لهذا المجتمع. كل ذلك على أنه الغالبية المستوطنة لدار الإسلام ثم تسرى بعد ذلك قاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) على غير المسلمين من المستوطنين المشاركين للمسلمين في دار الإسلام.

أولاً: مقومات مجتمع مواطني دار الإسلام:

يقوم على المميزات الآتية التي تسمو به:

١ - مؤمن: إيمانه يعصمه من الزلل والانحراف إلى الفسق والفجور.

٢ - متساو: المساواة من المبادئ الأساسية التي تجمع مواطنيه مهما اختلف جنسهم أو عقيدتهم أو لغتهم أو ثقافتهم فيكفي أن تجمعهم دار الإسلام وتظلهم شريعته السمحاء بقيم شعائرها المسلمون، وتسمح لغيرهم أن يقيموا شعائرههم حسب دياناتهم.

٣ - حر: الحرية بأنواعها العقائدية والفكرية والسياسية غير مقيدة إلا بما يضر الغير أو يخل بالآداب والنظام العام.

٤ - مسئول: كل مواطني هذا المجتمع مسئول في نطاقه (الأسرة، العمل والسياسة).

٥ - عادل : تسود العدالة أحكام المعاملات وقواعد السلوك بين المواطنين في علاقاتهم المتنوعة.

٦ - متكافل : يسود المجتمع بمختلف مواطنيه ومستوياتهم المتنوعة ألوان وصور التكافل المتعددة حتى يتحقق للمجتمع التعاطف والتراحم.

٧ - عامل : فالعمل والنشاط في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة أساس قيام المجتمع ومواطنيه وداعية تقدمه ورقية.

ثانياً : خصائص مجتمع دار الإسلام :

إن المنهج الرباني الذي يركز عليه وجود مجتمع دار الإسلام يجعله مختصاً بخصائص تظهر فيه دون سواه من المجتمعات الأخرى وأهمها ما يأتي :

١ - ذو طبيعة خاصة : حيث أوجدته إرادة الله وصنعتة شريعته بوحى منه.

٢ - مصنوع لا مطبوع : صنعتة القدرة الربانية محتويًا البشرية لتنشئتها وفقاً لمنهاج إلهي نزل به الوحي.

٣ - محاط بسياج من الشريعة : ليحيط بالمجتمع حامياً له من الانحرافات والزلل دون أن يكون قيداً على تطوره ونموه.

٤ - يسائر الفطرة البشرية السليمة لأن المنهجية من الله الذي خلق الإنسان تصديقاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْزَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

(١) سورة الملك، الآية ١٤.

٥ - نشأ بحكم الضرورة: إذا كانت الحاجة ماسة إليه حتى يحتوى المسلمين المكونين له ويتعايش غير المسلمين فى ظل التسامح.

ثالثاً: سمات الأمة الإسلامية فى دار الإسلام:

١ - قيمة: تبرز قيم المحبة والتكافل وخشية الله والبر بالوالدين وصلة الرحم.

٢ - متماسكة: تتوحد وتتربط من خلال الاعتصام بحبل الله المتين.

٣ - ملتزمة: بفعل الخير والحض عليه وترك الشر والنهى عنه.

٤ - متضامنة: تتعاون وتتناصر وتتكافل فى محبة وتعاطف وتواد.

٥ - متميزة: وتمايزها قائم على أساس الإيمان وهو عقائدى.

٦ - مسالمة: يسود السلام مواطنيها وتعمهم المحبة، كما أنها

مسالمة مع غيرها ممن هم على غير دين الإسلام إلا إذا اعتدوا.

٧ - مجاهدة: مقاتلة فى سبيل الله دفاعاً عن الدين والنفس والعرض

والعقل والمال.

٨ - عزيزة غير مهانة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾^(١).

وفى الوثيقة البيضاء ترى الأُسرة الدندراوية أن الكيان الإسلامى

لكى يكون قوياً ومثالياً يجب أن يتكون من أفراد مواطنين بفئات أربع هى:

فئة المال: فهو عصب الحياة وفيهم الغنى والفقير.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

فئة القوة : فهي دفع الحياة وفيهم القوى والضعيف.

فئة العلم : فهو تقدم الحياة وفيهم العالم والأمل.

فئة النفوذ : فهو نظام الحياة وفيهم الراعى والرعية.

رابعاً : فى مجال المواطنة :

١ - فى نهاية النتائج المستخلصة نأتى إلى الموضوع الرئيسى فى هذا الكتاب، وهو المواطنة التى يمارسها ويشارك بها المواطن الذى يقيم فى الوطن الذى هو جزء من الوطن، فالمواطنة هى الثمرة التى يتوصل إليها الباحث بعد دراسته للمواطن المقيم فى موطنه المقتطع من وطنه الكبير.

٢ - مفهومها : (أ) هى تعنى فى الدولة الحديثة الرابطة التى تقوم على علاقة الجنسية بين كل من يحملها .

(ب) وهى تعنى فى الإسلام انتماء الإنسان إلى دار الإسلام الذى يقيم فيه ويتمتع فيه بحقوقه ويلتزم فيه بواجباته.

٣ - تتمايز بمفهومها السابق عن المفاهيم الآتية :

عن الهوية : بمعناها الحديث التى تتكون لدى الأمة والشعب والمواطن فى حلقات متتابعة.

وعن القومية العرقية : التى يبلورها الانتماء إلى مجموعة بشرية جمعها التاريخ واللغة.

وعن الوطنية : هى عاطفة تنبع من حب الوطن والاندماج فى مقوماته.

وعن السياسة : التى تعنى إدارة شئون الناس العامة والتفكير فيها والتخطيط لها.

وعن الديمقراطية : التى تعنى حكم الشعب بالشعب وللشعب بأساليب الشورى.

وعن الحرية : التى تعتبر حقاً من حقوق المواطنة.

وعن القانون : الذى يعتبر وسيلة من وسائل تنظيم المواطنة ومباشرتها.

وعن العدالة : التى هى إطار يجب أن تباشر المواطنة وتمارس من خلاله.

وعن حقوق الإنسان : التى تسود العالم كله ويعترف بها. وحقوق المواطنة نوع وفرع منها.

٤ - صور المواطنة : تتراءى فى أربع صور حديثة رئيسية هى كما يأتى :

(أ) الصورة الجماعية : تتضمن المشاركة والخدمة الاجتماعية من أجل المنفعة العامة ، فهى تركز على المشتركات الضمنية : الثقافة والقيمة الأخلاقية التى يشترك فيها المواطنون مستهدفين الحفاظ على المستوى الأخلاقى والثقافى الراقى.

(ب) صورة الجمهورية المدنية : تظهر فيها المواطنة بوصفها المشاركة السياسية فى شئون الحكم والأمور العامة التى تهتم جموع المواطنين.

(جـ) صورة الليبرالية الجديدة : هى المواطنة بمفهومها التحررى وبوصفها وضعية قانونية. وهى وإن كانت جديدة ترتبط بالليبرالية الكلاسيكية (التحررية التقليدية) ، وترتكز على مفهوم أن المصلحة الشخصية فهى الدافع الأساسى المحرك للمواطنين.

(د) صورة الليبرالية الاجتماعية : تهدف إلى أن تسود المساواة كل البالغين فى نطاق الدولة سواء فى الحقوق المدنية أم الاجتماعية مقابل المساواة فى الالتزام بالواجبات ويحصل المواطنون على أكبر قدر من التحرر ليمارسوا حقوقهم.

المواطنة الفعالة:

إنها صورة فريدة غير الصور الأربعة السابقة، وهى الصورة المثالية التى ينبغى أن تكون عليها المواطنة حتى تحقق غايتها. وبصرف النظر عن الصور الأربعة التى أظهرتها الدراسات على النحو السابق فإنها أى كل منها تمثل صورة غير متكاملة وبالتالى غير فعالة. أما المقصود بالمواطنة الفعالة فهى التى تمكن كل مواطن من ممارسة حقوقه والالتزام بواجباته بفاعلية ولا يقتصر الأمر على مجرد مفهومها النظرى، فالعبرة أساسًا بتطبيقها وواقعها الفعلى، وهو الذى يعطيها الأهمية ويجعلها مستهدفة فى النظم الحديثة، ويأخذ نموذج من المواطنة الفاعلة بين الجنسين (الرجل والمرأة) شكلين ممكنين هما:

الأول: المشاركة المتساوية فى صنع القرار فى الدولة من النساء والرجال.

الثانى: المشاركة الاقتصادية والاجتماعية المساوية بين الجنسين. وباختصار نحتاج إلى مشاركة أفضل من النساء فى الشؤون السياسية حتى نصل إلى صورة من صور المواطنة الفاعلة، وهى:

صورة المواطنة صديقة المرأة:

هى مواطنة تؤثر شعوريًا فى النساء فيكون بوسعهن الالتزام بها راضيات فيصبحن فاعلات والحقوق هى شرط المواطنة بتوفير حصولها للمرأة، ولا يكفى مجرد الحصول عليها، فالمطلوب للفاعلية ممارسة هذه الحقوق إذ إن المشكلة هى أن المرأة لا تمارس هذه الحقوق على المستوى، وبالتأثير نفسه كما يمارسها الرجل. وبممارسة المرأة لهذه الحقوق ستصبح المرأة مواطنًا أقوى، وهى جزء حاسم وهام من ممارسة المواطنة.

العوامل التى تنخر فى المواطنة (أعداء المواطنة):

تعانى المواطنة أزمة تعوق مسيرتها وتناوى* ممارستها وتتمثل المعوقات فيما يلى:

١ - نمو الادعاء بأن هناك معايير تفوق أهميتها وأولويتها معايير الدولة والقومية، وهى المعايير التى تكمن فى ضمير المواطن متأثرًا بتعاليم الأديان.

٢ - وقوع مفهوم المواطنة بين مفهومين متعارضين متباعدين بعدًا كبيرًا وهامًا.

مفهوم المواطنة: هو تعلق المواطن بموطنه باعتباره منشأ مولده ومحل إقامته وأسرته وجيرانه وأصحابه وأحبابه.

مفهوم العولمة: بما استحدثته أجهزة العلم الحديثة من وسائل الاتصالات الإلكترونية (الكمبيوتر والنترنت والموبايل) مما قارب بين دول العالم وجعل العالم كأنه بلد واحد.

وهكذا وقع المواطن بأحاسيسه ومشاعره فى المتناقضات والمتنافرات مما أثر تأثيراً بالغاً على مواطنته وتجاذبت عواطفه وأفكاره فى جانب كبير منها إلى المواطننة المحلية الضيقة تارة وإلى العولة الشاسعة المترامية التى قربتها له التكنولوجيا تارة أخرى.

أهم الحقوق التى تمنحها المواطننة:

تتضمن المواطننة – وتضمن للمواطن – حقوقاً أساسية شاملة حقوقاً أخرى هى:

المساواة: تنعكس فى العديد من الحقوق كالتعليم والعمل والجنسية والمعاملة المتساوية أمام القانون والقضاء.

الحرية: تشمل: حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية وحرية التنقل وحرية الحوار والمناقشة والرأى، وممارسة كل أشكال الاحتجاج السلمى المنظم مثل (التظاهر والإضراب حسبما ينظم القانون)، وتأسيس والاشتراك فى الأحزاب أو الجمعيات الأهلية.

المسئولية الاجتماعية: تتضمن كثيراً من الواجبات (دفع الضرائب وتأدية الخدمة العسكرية واحترام حرية الآخرين وخصوصياتهم).

أهم حقوق المواطننة فى الإسلام:

إن الشريعة الإسلامية لا تعارض الحقوق السابقة التى تمنحها المواطننة فى الدولة الحديثة فهى لا تخالف مبادئها، بل هى فى الحقيقة تطبيق واقعى لها. وإلى جانب ذلك فإن المواطننة فى الإسلام تنبثق عنها حقوق أخرى

أصيلة أهمها ما يحفظ الضرورات الخمس بشكل أساسي ، وهي : (حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال) فضلاً عن حقوق حفظ التحسينات وحقوق حفظ الكماليات مما يبين أن الشريعة الإسلامية تتسامى في منح حقوق المواطنة متجاوزة الضروريات إلى التحسينات ثم انتهاء بالكماليات متمشية مع جميع مستويات المجتمع المسلم من المواطنين ملبية لجميع متطلباتهم في الحياة ، وفي الوجه المقابل تفرض المواطنة في ظل الإسلام على مواطني دار الإسلام واجبات والتزام تعاون على حفظ هذه الحقوق وعلى فاعليتها مما يجعل مستوى المجتمع المسلم في أسنى درجات التحضر والرقى .

المرأة والمواطنة:

لقد تعرضت حقوق المرأة وهي نصف أى مجتمع للانتهاك تندرج تحته القضايا الآتية وإن كانت بدرجات متفاوتة فى حدتها. وهذا الانتهاك تندرج تحته القضايا الآتية:

قضايا الزواج والطلاق: الزواج المبكر، الختان، الضرب والعنف والصحة الإنجابية - نقص وسوء تغذية الحوامل، انخفاض الخصوبة، زواج الأقارب والأمراض الوراثية، مشاكل الطلاق بأنواعه المختلفة وآثاره وانعكاساته. قضايا الجنس: تتمثل فى رؤية المجتمع للمرأة رؤية جنسية وتأخذ الصور الآتية:

ظهور المرأة مبتذلة فى الإعلانات التليفزيونية والصحفية والسينمائية والمسرحية والتحرش الجنسى والاغتصاب. وتعريض المرأة كسلعة فى سوق الشهوة والمتاجرة بالجسد دون نظر إلى إنسانيتها.

قضايا العمل: على رغم أن القانون والدين يعطيان المرأة حق العمل لكن البعض يعتبر خروجها متعارضاً مع حق زوجها عليها، وأنه يؤدي إلى الفتنة وفساد الأخلاق ويتعارض مع الدين.

أسباب ضرورة لعمل المرأة هي:

- ١ - توسيع أفقها وتنمية شخصيتها.
- ٢ - مساعدة من يعولها أو إعانة نفسها وأطفالها عند فقد العائل.
- ٣ - النهوض بالمجتمع باعتبارها نصف طاقته.

معوقات تمتع المرأة بحق الحرية في ظل المواطنة (تحرر المرأة):

- ١ - انتشار دعوة عودة المرأة إلى المنزل.
- ٢ - افتراض ضعف المرأة الجسماني.
- ٣ - الأمية وضعف فرص التعليم.
- ٤ - تفسير النصوص الدينية بشكل ليس في صالح المرأة.
- ٥ - استكانة المرأة وقبولها دور المستضعفة.

اقتراحات لتحقيق المواطنة للمرأة:

- ١ - معالجة المشاكل دون تخوف من الفكر الديني.
- ٢ - مواجهة المفاهيم والتفسيرات الخاطئة التي يروج بها المجتمع.
- ٣ - معاونة الإعلام في تقديم نماذج للمرأة باعتبارها إنساناً له مكانته وحاجاته ونجاحاته.

٤ - تفعيل دور الجمعيات الأهلية باعتبارها متغلغلة في جماهير المجتمع.

٥ - مقاومة أشكال الانتهاكات التي تتعرض لها المرأة بسبب نوعها كالعنف واستغلال الجسد.

٦ - توجيه رعاية صحية خاصة للمرأة فيما يتعلق بالصحة الإنجابية والأمومة والطفولة.

٧ - تمكين المرأة الفقيرة من الحصول على القروض المساعدة على التنمية المستدامة.

٨ - تفعيل دور المجلس القومي للمرأة ليؤدي دوره في مواجهة قضايا المرأة بالحلول.

المرأة والمواطنة في دار الإسلام:

أنصف الإسلام المرأة إنصافاً كبيراً وأعطاهما الكثير من الحقوق في ظل مواظنتها الإسلامية، والتي لم تكن لتنالها لولا الإسلام، ولنضرب لذلك الأمثلة الآتية:

١ - لم يرفض الإسلام ولاية المرأة إذا كانت تمتلك الكفاءة التي تؤهلها لذلك ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١).

٢ - لم يعترض القرآن الكريم على وجود امرأة تحكم وتملك «ملكة سبأ».

٣ - حدث في بعض البلاد الإسلامية حديثاً ولاية المرأة بنجلاديش وباكستان.

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

٤ - اشتركت النساء فى بيعة العقبة ومنهن أم عمارة وأسماء بنت عمر.

٥ - ردت امرأة سيدنا عمر بن الخطاب عندما أراد تحديد المهور فصوب رأيها قائلاً: «أصابك امرأة وأخطأ عمر».

٦ - أشارت أم سلمة على النبى ﷺ بحلق رأسه فى صلح الحديبية مما جعل أصحابه يقتدون به فتنقضى الأزمة، ويزول التوتر الذى سادهم.

٧ - ولّى عمر بن الخطاب قضاء الحسبة فى سوق المدينة للنساء.

٨ - روت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ قال عنها «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء».

وبالمقابلة فى الدول الغربية طالبت النساء لقرنين كاملين بوجوب أن تصبح خصائصهن ومطالبهن النوعية جزءاً من المواطنة أى بأن يصبحن نساء مواطناً، ولم يكن هذا المطلب مقبولاً، ولم يلب خلال هذين القرنين، وكانت هذه الخصائص النسوية تحدياً يضع النساء فى علاقة تتناقض مع المواطنة أو فى أفضل الأحوال مفارقة وتتعارض معها.

مقترحات وتوصيات عامة:

١ - الحاجة ماسة إلى تعميق مفهوم الانتماء باعتباره وسيلة عملية تطبيقية للمواطنة. فالوضع الحالى خاصة بين الشباب مشتت الفكر والاتجاهات يتمثل فى عدم القدرة على إعطاء معنى دقيق للانتماء. وإن البحث اليائس عن معنى الانتماء قد ينتهى بالشباب خاصة إلى

الخضوع إلى أشكال من العصبية والتطرفات الموعلة في الغرابة وأصدق مثل عليها التحزب لنوادى كرة القدم أو لفرقة من الفرق الرياضية.

٢ - من مقتضيات المواطنة الارتباط الوثيق بالميراث التاريخي والثقافي والاستشعار بالمواطنة ذاتياً وإشعار الآخرين بها بأن يطمع المواطن ألا يكون أكثر من مواطن ولا يرضى عن أى شخص يكون أقل من ذلك.

٣ - لا يمكن استثناء أى مؤسسة رسمية كانت أو غير رسمية من تعميق وتربية معنى الوطنية التى هى العاطفة الفاعلة للمواطنة، وإن كانت أدوار هذه المؤسسة تختلف من حيث الوظيفة والأهمية التى تؤديها نظراً لطبيعة المسئولية التى تمارسها هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن ممارسة المواطنة وتنميتها لا يمكن أن يكتب لها الدوام والاستمرار ما لم يكن هناك تكامل وتضافر وتنسيق بين جهات المجتمع المختلفة.

٤ - كما أن ممارسات المواطنة المطلوبة على المستوى الاجتماعى تحتاج إلى قنوات لتفعيل معناها من خلال الأجهزة والإدارات الاجتماعية والمحليات.

٥ - يلزم من خلال الأسرة باعتبارها البيئة الأولى لتنشئة الطفل وتقع عليها بداية مسئولية تربيته. فمن أولويات هذه التربية تربية معنى المواطنة حتى يكون غرسها قوياً وراسخاً فى الأعماق، ولا تقوى الهزات على زعزعته بعد ذلك. ولكن الآباء والأمهات قد لا يملكون أحياناً من المهارات والثقافة العلمية ما يؤهلهم لأداء هذه المهمة والقيام بهذه

المسئولية مما يستلزم ضرورة تدريبهم وتفهمهم دورهم وذلك واجب مؤسسة «إدارة الرعاية الأسرية» التابعة لإدارات الشؤون الاجتماعية.

٦ - يأتي بعد ذلك دور المؤسسة التربوية التعليمية الذى يعد الأكثر أهمية إثر مسئولية الأسرة فى البيت وحيث يقضى الفتى أو الفتاة وقتاً كبيراً فيها ليتلقى من المعلمين والمعلمات كميات العلوم المختلفة ويلزم أن تتم تربية المواطنه ضمن هذه العلوم.

٧ - هناك النشاط اللامنهجية ومدى تفعيلها للحس الوطنى والأخلاقي ويجب أن يكون المواطن موضع الاهتمام الأكبر فيها.

٨ - للمؤسسة الإعلامية دور عظيم وهام فى التوعية بالمواطنة وذلك بمختلف وسائلها الصوتية «المذياع» والمرئية «التلفاز» والمقروءة «الصحف» والسينما والمسرح مع تنويع العرض وتغيير أساليبه بما يحقق هدف التوعية ويعمق مفهوم المواطنة ويحولها إلى سلوك وممارسة ومشاركة.

٩ - المؤسسة السياسية بمجالسها المختلفة وما يدور فيها من حوار ومناقشات، وما يصدر فيها من قوانين، وما تنشره حولها من أفكار يجب أن يكون للمواطنة فيه غالبية عظمى فليس هناك بعدها من أهمية حتى يسود الوطن والموطن الأمن والأمان والحب والوثام بما يتحقق له من المواطن المثالى الواعى الممارس للمواطنة ممارسة فعالة تحقق الآمال وتبنى المستقبل للأجيال.

هذا وبالله التوفيق

المراجع

(أ) القرآن الكريم.

(ب) الأحاديث النبوية الشريفة.

- ١ - الحافظ المنذرى، الترتيب والترهيب، الجزء الثالث.
- ٢ - سنن الترمذى، شرح ابن العربى المالکى، طبعة أولى سنة ١٣٥٠هـ.
- ٣ - مسند الإمام أحمد بن حنبل.

مراجع:

- ١ - أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور «لسان العرب» بيروت دار صادر.
- ٢ - الإمام فخر الدين الرازى «مختار الصحاح».

كتب دينية:

- ١ - سيرة ابن هشام - مكتبة البابى الحلبي - الطبعة الثانية.
- ٢ - محمد حسين هيكل «حياة محمد».
- ٣ - مصطفى صادق الرافعى «الإسلام ومشكلات العصر» طبعة أولى بيروت سنة ١٩٣٣م.
- ٤ - مجموعة رسائل الإمام حسن البنا - بيروت المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر.

- ٥ - سيد قطب «معالم في الطريق» - بيروت دار الشروق.
٦ - سمو الأمير الفضل، الوثيقة البيضاء والأسرة الدندراوية «تكوين وكيان».

مكتب قانونية:

- ١ - د. محمود سلام زناشي «مبادئ القانون أو المدخل لدراسة القانون».
٢ - د. محمد حافظ غانم - الأصول الجديدة للقانون الدولي العام (جزء ثان).
٣ - عبد الحميد أحمد غريب «سلسلة غريب للثقافة القانونية» - نخبة من رجال القانون - طبعة أولى - مكتبة غريب بالفجالة.
٤ - محمد سليم العوا «أصول النظام الجنائي» - طبعة أولى - دار المعارف سنة ١٩٨٣ م.

دراسات:

- ١ - د. محمد عمارة «الشيخ رفاعه الطهطاوي» (الأعمال الكاملة) - بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٢ - أديب إسحق «الكتابات السياسية والاجتماعية» - بيروت - دار الطليعة.
٣ - مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام في الجامعة الأمريكية ودراسة في الهوية والوعي.
٤ - محمد أحمد خلف وآخرون «القومية العربية والإسلام» - طبعة ثانية - بيروت.
٥ - د. عبد الفتاح عاشور «منهج القرآن في تربية المجتمع» - مصر.

- ٦ - الشيخ محمد متولى الشعراوى «فيض الرحمن فى تربية الإنسان» - طبعة ثالثة (جزء أول).
- ٧ - د. محمد عابد الجابرى، مركز الدراسات (الوحدة العربية والثقافة القومية).
- ٨ - فهمى هويدى «مواطنون لآزميون» - طبعة أولى - سنة ١٩٨٥م = دار الشروق.
- ٩ - د. عبد الرحمن عميرة «رجال ونساء أنزل فيهم قرآن» - المجلد الثانى.
- ١٠ - د. صلاح مصطفى الفوال «التصوير القرآنى للمجتمع: - المجلد الأول - دار الفكر العربى.
- ١١ - عبد الوهاب خلاف «أحكام الوقف» - الطبعة الثانية - سنة ١٤٨١هـ.
- ١٢ - عبد الرحمن الشرقاوى «الفاروق عمر بن الخطاب» - الطبعة الأولى - مركز الأهرام.
- ١٣ - وهبة الزحيلى «نظام الإسلام» - منشورات جامعة بنى غازى - طبعة أولى.
- ١٤ - حسين العويدات «العرب والنصارى» - المصرية كمواطنة.
- ١٥ - سمير مرتضى «إطلالة على مسار المواطنة التاريخى».
- ١٦ - الشيخ عبد الحميد محمد على والقس فكرى رجائى «المواطنة بين المفهوم والممارسة» - دراسات منتدى حوار الثقافات.

الفهرس

٧	المقدمة.....
٩	الموطن
١٩	الوطن
٢٥	الوطن والدولة الحديثة.....
٣٢	المواطن.....
٤٠	حقوق المواطن
٦٤	المواطن غير المسلم.....
٦٩	المواطنون المسلمون (المجتمع المسلم)
٧٨	المواطنة.....
١٠١	المواطنة من منظور إسلامي.....
١٢١	عائد المواطنة (صمام أمان).....
١٢٥	النتائج المستخلصة.....
١٥٢	المراجع.....

الاشتراكات

اشترك فى سلسلة اقرا تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهاً.
 - الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولاراً أمريكياً.
 - الدول الأجنبية ٩٠ دولاراً أمريكياً.
- تسدد قيمة الاشتراكات مقدماً نقداً أو بشيكات بمجلة أكتوبر ١١١٩
كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة .

فى بحور العلم جا
د. أحمد مستجير

العدد
القادم

إذا كان التطور الغربى لم يعرف المواطنة إلا بعد الثورة الفرنسية وكان التمييز على أساس العرق، والتحيز ضد المرأة وضد الملونين، فإن المواطنة الكاملة فى الحقوق والواجبات قد اقترنت بالإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة.

ومما لا شك فيه أننا الآن فى حاجة ماسة لتعميق الانتماء باعتباره وسيلة عملية تطبيقية للمواطنة خاصة بين الشباب الذى كثيرا ما يكون مشتت الفكر والاتجاهات.

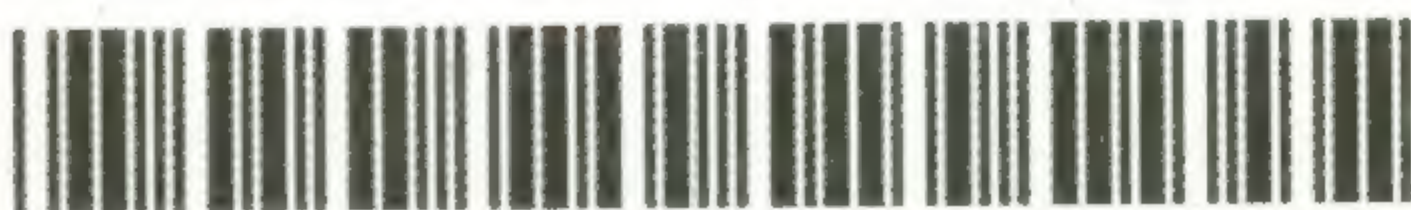
ومع ظهور دعوات لتعديل الدستور برز موضوع المواطنة من جديد ليشغل أذهان أفراد المجتمع.

فما هو موضوع المواطنة وما الفرق بين الوطن والمواطن والموطن والمواطنة وما حقوق كل منهم على الآخر. وهل هناك معوقات تمنع المرأة من التمتع بالمواطنة والحرية الكاملة. أسئلة كثيرة يجيب عنها هذا الكتاب الشيق.

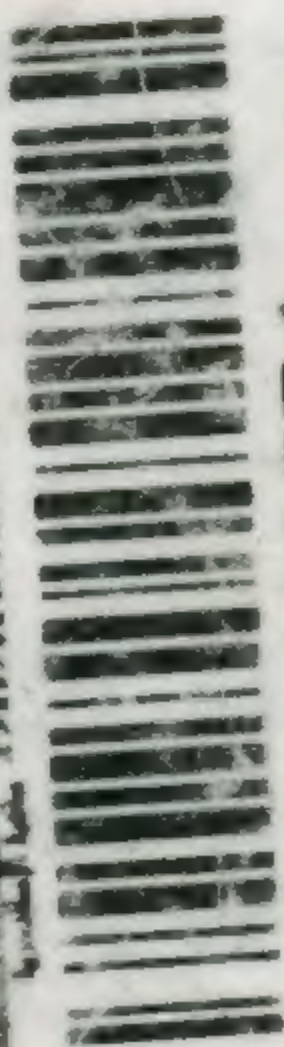


دارالمعارف

٤٠٧٩٤٨/٠١



Bibliotheca Alexandrina



0749574